الآداب العامة

الجزء الثاني

إعـــداد

د. محمـد مختار جمعة

ونخبة من الباحثين

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة
د. أحمد بهي الدين

الآداب العامة
الجزء الثاني

إعداد

د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى
للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢١.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٥٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾

[سورة فصلت، الآية ٣٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

الحمـد لله رب العالمـين، والصلاة والسـلام عـلى خاتم أنبيائه ورسـله سـيدنا محمـد بن عبد الله، وعـلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعـــد،،،

فالإسـلام هـو ديـن الفطـرة السـوية المسـتقيمة، يدعو إلى ترسـيخ وتأصيل القيم الإنسـانية والحضاريـة الزكية في النفـوس، ويؤكـد على الالتزام بـالآداب العامة التي تتسـق مع الفطرة الإنسانية السوية، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[1].

(١) [سورة الروم، الآية ٣٠]

فالمؤمن الحق هو من أَمِنَهُ النَّاس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، يقول نبينا ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»، ويقول ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ»، والإيمان أمانة، يقول نبينا ﷺ: «لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ»، ويقول ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

فالمؤمن الحق: وفِيٌّ، رحيمٌ، حيِّيٌ، سخيٌّ، كريمٌ، صادقٌ في أقواله وأفعاله، يحفظ للنفس حرمتها، وللأموال حقوقها، وللأوطان فضلها ومكانتها.

ويأتي هذا الجزء الثاني من كتاب الآداب العامة بأقلام ومشاركة نخبة من الباحثين المتميزين متضمنًا: آداب الطهارة، وآداب المساجد، وآداب الصحبة، وآداب الدعاء، وآداب البيع والشراء، وآداب التداوي، وآداب التعامل مع الإنترنت، وآداب الزيارة وعيادة المريض، وآداب السلام، وآداب الخصومة والتقاضي، وأدب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وغيرها من الآداب.

أسـأل الله العلي العظيم أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصًـا لوجهــه الكريـم، وأن يهدينـا لأحسـن الأخـلاق والآداب، إنه لا يهدي لأحسنها إلا هو.

والله من وراء القصد وهو الموفق والمستعان.

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية

آداب الطهـــارة(*)

الطهـارة في اللغـة تعنـي: الحسـن والنظافـة، والطُّهْـر: نَقِيضُ النَّجَاسَـةِ، يقال: طَهَـر، وطَهُر بِالضَّمِّ، طَهارةً فِيهِمَا، وطَهَّرْته أَنا تَطْهِيرًا، والتطهير: التنظيف والتنقية، وتطَهَّرْت بِالماءِ، وَرَجُلٌ طاهِر وطَهِرٌ(٢).

وفي الشرع: غسل أعضاء مخصوصة بصفة مخصوصة(٣).

والطهارة حسـية ومعنوية؛ فالطهارة الحسية: هي تطهير الجسم بإزالة النجاسة، ورفع الحدث سواءٌ أكان حدثًا أكبر، مثـل: دم الحيض أو النفاس أو الجماع، أم حدثًا أصغر مثل: البول أو الغائط.

(*) أعد هذا المبحث الشيخ/ محمد عبد الظاهر، مدير إدارة التدريب عن بُعْد.

(٢) لسان العرب، فصل الطاء المهملة، مادة: "طهر"، ٤ / ٥٠٤، ط دار صادر، بيروت ١٤١٤هـ، بتصرف.

(٣) مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج لشـمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: ٩٧٧هـ)، ١/ ١٦٦، ط دار الكتب العلمية، بتصرف.

والطهارة المعنوية: هي طهارة النفس البشرية من الأدواء الظاهرة كالمعاصي والذنوب، والباطنة كالحقد، والحسد، والغل، والبغضاء، وغيرها.

وللطهارة في الإسلام مكانة كبيرة، وثمرات جلية، وفيها الكثير من الحِكَم والمنافع للقلوب والأبدان، فليست الغاية من الأمر بالطهارة غسل هذه الأطراف للنظافة والطهارة فقط -مع أهميتها- بل إن هناك حِكمًا وفوائد عظيمة في الطهارة، فهي مكفرة لصغائر ذنوب العبد وآثامه، فالجوارح والأطراف محل الكسب والعمل، فشرع الله ﷻ تطهيرها لتكفير ما قد تكون اقترفته من الذنوب والمعاصي، قال ﷺ: «إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ المسْلِمُ، أَوِ المؤْمِنُ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَتْ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الماءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ، أَوْ نَحْوَ هَذَا - وَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتْ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الماءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ»[1].

ومن فضائل الوضوء كذلك أنه علامة هذه الأمة في وجوههم وأطرافهم التي بها يُعْرَفون يوم القيامة من بين

(١) سنن الترمذي، أبواب الطهارة، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الطُّهُورِ، حديث رقم: ٢.

الأمم، وليست هذه العلامة لأحد غيرهم، قال ﷺ: «إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ»[1].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَتَى المَقْبَرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَوَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ، فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا»[2].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَابُ فَضْلِ الوُضُوءِ وَالغُرُّ المُحَجَّلُونَ، حديث رقم: ١٣٦، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ، حديث رقم: ٢٤٦ واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، رقم: ٢٤٩.

وقد ذكر الله تعالى حبّه لعباده المتطهرين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1]، وَعَدَّ النبي الكريم ﷺ الطهور نصف الإيمان فقال: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْحَمْدُ لله تَمْلَآَنِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا»[2].

وللطهارة الحسية آداب، منها:

- ستر العورة، فلا ينبغي التهاون في سترها لوجوبه، فعن بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، عَوْرَاتُنَا، مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قال: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْقَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تُرِيَهَا أَحَدًا، فَلَا تُرِيَنَّهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: «فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ»[3].

(١) [سورة البقرة، الآية ٢٢٢].
(٢) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ، حديث رقم: ٢٢٣.
(٣) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، بَابُ التَّسَتُّرِ عِنْدَ الجِمَاعِ، حديث رقم: ١٩٢٠.

وأما ما يفعله البعض من قضاء الحاجة حيث يراه الناس -دون حياء أو خجل- فهو من الذنوب والآثام، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ»، ثُمَّ قَالَ: «بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ، فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ الله، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا أَوْ إِلَى أَنْ يَيْبَسَا»(١).

- ومنها: عدم الإسراف في الماء، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: «مَا هَذَا السَّرَفُ»، فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ، قَالَ: «نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ»(٢).

- ومنها: التسمية عند الوضوء أو الغسل، قال رسول الله ﷺ: «لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ الله عَلَيْهِ»(٣)، يعني لا وضوء كامل الأجر.

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، بَاب: مِنَ الكَبَائِرِ أَنْ لَا يَسْتَتِرَ مِنْ بَوْلِهِ، حديث رقم: ٢١٦.
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْقَصْدِ فِي الْوُضُوءِ، حديث رقم: ٤٢٥.
(٣) مسند أحمد، ١٧/ ٤٦٣، حديث رقم: ١١٣٧٠.

- ومنهـا: التيامـن في الطهارة، أي البـدء باليمين، وهو سنة، فعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ ﵂، قَالَتْ: قال رسول الله ﷺ فِي غُسْـلِ ابْنَتِـهِ: «ابْدَأْنَ بِمَيَـامِنِهَـا، وَمَوَاضِـعِ الوُضُوءِ مِنْهَـا»[1].

- ومنهـا: الوضـوء قبل الغسـل مـن الجنابة، بـأن يتوضأ وضوءًا كاملًا قبل أن يشرع في غسله، فعَن السيدة عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «كَانَ رَسُـولُ الله ﷺ إِذَا اغْتَسَـلَ مِنَ الجَنَابَةِ غَسَلَ يَدَيْهِ وَتَوَضَّـأَ وُضُوءَهُ لِلصَّـلاَةِ، ثُمَّ اغْتَسَـلَ، ثُمَّ يُخَلِّلُ بِيَدِهِ شَـعَرَهُ، حَتَّـى إِذَا ظَـنَّ أَنَّـهُ قَـدْ أَرْوَى بَشَرَتَـهُ أَفَـاضَ عَلَيْهِ المَـاءَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُـمَّ غَسَلَ سَائِرَ جَسَـدِهِ»[2].

وللطهارة المعنوية آداب، منها:

- الطهـارة من الرياء، والسـمعة، وهما: الحرص على رؤيـة الناس لعملك، وإسـماع مـن لـم يـرَ منهم، قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي الله بِهِ»[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب يبدأ بميامن الميت، حديث رقم: ١٢٥٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الغسل، بَابُ تَخْلِيلِ الشَّعَرِ، حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَرْوَى بَشَرَتَهُ أَفَاضَ عَلَيْهِ، حديث رقم: ٢٧٢.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، بَابُ الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، حديث رقم: ٦٤٩٩.

- ومنهـا: الطهارة من المعاصي بالتوبـة إلى الله ﷻ، قال تعـالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، وقـال ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُـطُ يَـدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُـوبَ مُـسِيءُ النَّهَـارِ، وَيَبْسُـطُ يَـدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُـوبَ مُسِيءُ اللَّيْـلِ حَتَّـى تَطْلُـعَ الشَّـمْسُ مِـنْ مَغْرِبِهَـا»[2]، فالذنوب لها أثرها السـيئ على العبد في الدنيـا والآخـرة، فتفنى المعصيـة ومتعتهـا، ويبقى أثرهـا السـيئ في قلب العبد في حياته، ثم القصـاص بين يدي الله تعالى في الآخرة، قَالَ ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَـا المُفْلِـسُ؟» قَالُوا: المُفْلِـسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَـهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَـأْتِي قَدْ شَـتَمَ هَـذَا، وَقَذَفَ هَـذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَـفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَـذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَـنَـاتِهِ، وَهَـذَا مِنْ حَسَـنَـاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَـنَـاتُهُ قَبْـلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[3].

(١) [سورة النور، الآية ٣١].
(٢) صحيح مسـلم، كتاب التوبة، بَـابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَـرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٩.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٦٧٤٤.

آداب المساجد(*)

مما لا شك فيه أن للمسجد أهمية كبيرة ومنزلة عظيمة في الإسلام، يقول الحق سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾(١)، ويقول سبحانه: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾(٢).

وقد بدأ النبي ﷺ تأسيس المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة ببناء المسجد، معلنًا بذلك ﷺ أنه الدعامة الأولى لقيام المجتمع، ففي المسجد تُغْرس قيم المساواة والعدل،

(*) أعد هذا المبحث أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف.
(١) [سورة التوبة، الآية ١٨].
(٢) [سورة النور، الآية ٣٦].

وموجبات الودِّ والمحبة والتعاون، وتمحى الفوارق في الرُّتب والمناصب، وهو أحب البقاع إلى الله تعالى، قال ﷺ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى الله مَسَاجِدُهَا»[1]، وأهل المساجد آمنون في ظلِّ عرش الرحمن يوم الفزع الأكبر، يقول النبي ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ فَأَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[2].

وقد حثنا النبي ﷺ على عمارة المساجد حِسيًّا ومعنويًّا، فقالَ ﷺ: «مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا، بَنَى الله لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ»[3]، وقال ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ لِلصَّلاَةِ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ ثُمَّ مَشَى إِلَى الصَّلاَةِ المَكْتُوبَةِ فَصَلَّاهَا مَعَ النَّاسِ أَوْ مَعَ الْجَمَاعَةِ أَوْ

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب أحب البلاد إلى الله مساجدها، حديث رقم: ٦٧١.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضْلِ المَسَاجِدِ، حديث رقم: ٦٦٠.
(٣) سنن ابن ماجه، كِتَابُ المَسَاجِدِ وَالجَمَاعَاتِ، بَابُ مَنْ بَنَى لله مَسْجِدًا، حديث رقم: ٦٧١.

فِي المسْجِدِ غَفَرَ الله لَهُ ذُنُوبَهُ»[1]، ويقول ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الملَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[2].

ومن أهم آداب المساجد:

- عدم البيع والشراء فيها، فالمساجد لم تُبنَ للبيع ولا للشراء؛ لما فيها من صرف القلوب عن الخشوع في العبادة، قال ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَك»[3].

- **ومنها:** البُعْد عن كل ما يُنَفِّر رُوَّادها من المصلين والملائكة كالروائح الكريهة، مثل: أكل الثوم أو البصل ونحوهما دون غسل فمه غسلًا جيدًا وتطهيره من الرائحة الكريهة، فقد دعانا النبي ﷺ إلى نظافة الفم والعناية به عند

(١) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، حديث رقم: ٢٣٢.
(٢) المصدر السابق، كتاب الذكر والدعاء، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٦٩٩.
(٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الْبُيُوعِ، باب النهي عن البيع في المسجد، حديث رقم: ١٣٢١.

كل صلاة، يقول ﷺ: «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاَةٍ»[1]، فعلى المصلي أن يتفقد بدنه وثيابه قبل حضوره المسجد، فيحرص على النظافة والطهارة حتى لا يؤذي الملائكة قبل المصلين.

- ومنها: عدم إنشاد الضالة في المسجد؛ فالمساجد إنما بنيت لإقامة ذكر الله ﷻ ولم تُبْنَ للإعلان عن المفقودات، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ؛ فَإِنَّ الْمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا"[2]، ويلحق بذلك سؤال الناس أموالهم في المساجد، وإشغالهم عن التسبيح والتكبير والتهليل والذكر عمومًا بحجة الفقر والحاجة.

-ومنها: عدم التشويش على المصلين أوالذاكرين، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اعْتَكَفَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الْمَسْجِدِ فَسَمِعَهُمْ يَجْهَرُون بِالْقِرَاءَةِ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ لَهُ، فَكَشَفَ السُّتُورَ، وَقَالَ: "إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ، فَلَا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الجمعة، بَابُ السِّوَاكِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، حديث رقم: ٨٨٧، وصحيح مسلم، كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابُ السِّوَاكِ، حديث رقم: ٢٥٢، واللفظ للبخاري.
(٢) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن نشد الضالة في المسجد، حديث رقم: ٥٦٨.

بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعَنَّ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقِرَاءَةِ"، أَوْ قَالَ: "فِي الصَّلَاةِ"[1].

- ومنها: عدم الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لضرورة، فعن أبي الشَّعثاء قال: كُنا مع أبي هريرة ﷺ في المسجدِ فخرجَ رجل حينَ أذّنَ المُؤذن للعصرِ، فقال أبو هريرة ﷺ: «أَمَّا هَذَا، فَقَدْ عَصَى أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ»[2]، وقد يُسَاء الظن بمن خرج بعد الأذان وقبل الإقامة لما فيه من الإعراض عن ذكر الله تعالى.

ومن الآداب الواجبة وجوبًا كفائيًّا: العمل على عمارة المساجد عمارة حسية، بإنارتها وفرشها وتنظيفها -خصوصًا في زمن الأوبئة- وغير ذلك مما يهيئ الظروف لإقامة الشعائر على النحو الأكمل، فقد أكرم رسول الله ﷺ من عمل على تلك العمارة، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدريّ ﷺ، قَالَ: كَانَتْ سَوْدَاءُ تَقُمُّ المَسْجِدَ، فَتُوُفِّيَتْ لَيْلًا، فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، أُخْبِرَ بِمَوْتِهَا، فَقَالَ: "أَلَا آذَنْتُمُونِي بِهَا؟" فَخَرَجَ

(١) مسند أحمد، ١٨/ ٣٩٣، حديث رقم: ١١٨٩٦.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الخروج من المسجد بعد الأذان، حديث رقم: ٥٣٦.

بِأَصْحَابِهِ، "فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهَا، فَكَبَّرَ عَلَيْهَا، وَالنَّاسُ مِنْ خَلْفِهِ، وَدَعَا لَهَا، ثُمَّ انْصَرَفَ"[1].

-ومنها: التبكير في الحضور إلى المساجد لإقامة الصلوات: فقد رَغَّبَ النبي ﷺ في التبكير إليها والمحافظة على الصف الأول، حيث قال ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاَسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ[2] لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»[3].

- ومنها: المشي إلى الصلاة بخشوع وسكينة وتؤدة، فيكون مشيه إليها بخشوع وطمأنينة، فمن أتى إلى الصلاة وهو مطمئن في مشيه كان ذلك أدعى لخشوعه في صلاته وإقباله عليها، ومن جاء إليها مسرعًا فهو أدعى لتشتيت الفكر والذهن، وقد نهى النبي ﷺ عن الإسراع إلى الصلاة حتى ولو أقيمت الصلاة، فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: "بَيْنَمَا نَحْنُ

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّلاَةِ عَلَى الْقَبْرِ، حديث رقم: ١٥٣٣.
(٢) التهجير هو: التبكير إلى كل شيء والمبادرة إليه من هجر تهجيرًا، وهي لغة حجازية، أراد المبادرة إلى أول وقت الصلاة. مجمع بحار الأنوار لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، ٥/ ١٣٧.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، بَابُ الِاسْتِهَامِ فِي الْأَذَانِ، حديث رقم: ٦١٥.

نُصَلِّي مَعَ النَّبِي ﷺ إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ، فَلَمَّا صَلَّى قَالَ: "مَا شَأْنُكُمْ"؟ قَالُوا اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلاَةِ، قَالَ: فَلاَ تَفْعَلُوا، إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا"[1].

– ومنها: الخروج على أحسن هيئة، وأخذ الزينة الظاهرة من ثياب وغيرها، فينبغي للمصلي أن يلبس من أحسن ما عنده لمناجاة ربه في صلواته، خاصة في صلاة الجمعة لما فيها من اجتماع المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[2].

– ومنها: الدعاء عند دخول المساجد وعند الخروج منها، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ فَلْيَقُلْ: اللهمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»[3]، وكان ﷺ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، قَالَ: أَقَطْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب قول الرجل فاتتنا الصلاة، حديث رقم: ٦٣٥.
(٢) [سورة الأعراف، الآية ٣١].
(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ما يقول إذا دخل المسجد، حديث رقم: ٧١٣.

قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»[1]. وقوله: «أقط» الهمزة للاستفهام، وقط بمعنى حسب، أي: أبلغك عني هذا القدر من الحديث فحسب.

- ومنها: استحباب تقديم الرِّجْل اليمنى عند الدخول؛ لأن المسجد أشرف الأماكن وأطيبها، فناسب تقديم اليمنى عند الدخول لشرفه، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ﷺ: «يَبْدَأُ بِرِجْلِهِ الْيُمْنَى فَإِذَا خَرَجَ بَدَأَ بِرِجْلِهِ الْيُسْرَى»[2]، وعن أم المؤمنين عائشة ﷺ، قالت: "كان النبي ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ، فِي تَنَعُّلِهِ، وَتَرَجُّلِهِ[3]، وَطُهُورِهِ، وَفِي شَأْنِهِ كُلِّهِ»[4].

- ومنها: تحية المسجد بصلاة ركعتين عند دخوله، فيستحب لداخل المسجد أن يبدأ بركعتين تحيَّة للمسجد، لقول رَسُول الله ﷺ: «إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَسْجِدَ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يَجْلِسَ»[5].

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب مايقول الرجل عند دخوله المسجد، حديث رقم: ٤٦٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، بَابُ التَّيَمُّنِ فِي دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَغَيْرِهِ، ذكره معلقًا.
(٣) التَّرَجُّل والتَّرْجِيل هو: تَسْرِيحُ الشَّعْرِ وَتَنْظِيفُهُ وَتَحْسِينُهُ. (لسان العرب، فصل الراء، مادة: «رجل»، ١١/ ٢٧٠).
(٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب التيمن في الوضوء والغسل، حديث رقم: ١٦٨.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس، حديث رقم: ٤٤٤.

آداب الدعاء(*)

إنَّ الدعاء من أفضل العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى الله ﷻ، فهو من أحب الأعمال إلى الله تعالى، به يُدفع البلاء قبل نزوله، وبه يُرفع بعد نزوله، وبه تنشرح الصدور، وتفرج الهموم، فهو من أعظم الطاعات، وأنفع القربات، وهو أكرم شيء على الله ﷻ، قَالَ ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الدُّعَاءِ»(٢).

والدعاء باب من أبواب العبودية لله ﷻ، وقد سَمَّاه الله ﷻ عبادة، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٣)، ويقول النبي ﷺ: «إِنَّ

(*) أعد هذا المبحث د/ رمضان عبد السميع، مدير مديرية أوقاف أسوان سابقًا.
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٣٨٢٩.
(٣) [سورة غافر، الآية ٦٠].

الدُّعَـاءَ هُـوَ الْعِبَـادَةُ»[1]؛ بل هـو مخ العبـادة وسرُّ قُوَّتها، يقـول ﷺ: «الدُّعَـاءُ مُخُّ العِبَـادَةِ»[2]، قـال المباركفوري: «وَالمعْنَـى أَنَّ الدُّعَـاءَ لُبُّ الْعِبَادَةِ وَخَالِصُهَـا؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَ إِنَّـمَا يَدْعُـو اللهَ عِنْـدَ انْقِطَاعِ أَمَلِهِ مِمَّا سِـوَاهُ، وَذَلِـكَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ ولا عبادة فوقهما»[3]، فالله ﷻ يحب من يدعوه، ويغضب ممن لا يدعوه، قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ»[4]، ولله در القائل[5]:

لا تسـألنَّ بُنيّ آدم حـاجـة وسلِ الذي أبوابُه لا تُحجبُ

اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُـؤَالَهُ وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

فهذا من لطفه بعباده، ونِعَمِهِ العظيمة، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه: دعاء العبادة، ودعـاء المسـألة، ووعدهـم أن يسـتجيب لهـم، وتوعـد من

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الدعاء، بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٣٨٢٨.
(٢) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٣٣٧١.
(٣) تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ٩/ ٢١٩، ط دار الكتب العلمية، بيروت.
(٤) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٣٣٧٣.
(٥) فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال لمحمد علي طه الدرة، ٢ / ٣٦٢، ط مكتبة السوادي جدة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩م.

استكبر عن العبادة، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[1].

ولما كانت هذه الأهمية البالغة للدعاء في الإسلام؛ فقد أمر الله ﷻ به، ووضع له الشرع الحنيف آدابًا وضوابطَ، منها ما هو واجب، ومنها ما هو مندوب ينبغي أن يتأدب بها الداعي في مناجاته لربه اقتداءً برسول الله ﷺ.

ومن أهم آداب الدعاء:

- حسن الظن بالله تعالى، وهو قوة اليقين بما وعد الله تعالى به عباده من سعة كرمه ورحمته، مع كمال رجائه بإجابة دعائه، قال ﷺ: «ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ لَاهٍ»[2]، ويقول ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ»[3].

---

(١) [سورة غافر، الآية ٦٠].

(٢) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، بَابُ جَامِعِ الدَّعَوَاتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٣٤٧٩.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ العَزْمِ بِالدُّعَاءِ وَلَا يَقُلْ إِنْ شِئْتَ، حديث رقم: ٢٦٧٩.

- ومنها: طيب المطعم وتجنب أكل الحرام بكل صوره، فهو من موانع القبول، فلا يُرفع لصاحبه عمل، ولا يُقبل له دعاء، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[2]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟»[3].

- ومنها: أن لا يدعو بإثم أو قطيعة رحم، قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ؛ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»[4]، وكل دعاء إذا اجْتُنِبَت الموانع مجاب

(١) [سورة المؤمنون، الآية ٥١].
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٧٢].
(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ، حديث رقم: ١٠١٥.
(٤) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ يُسْتَجَابُ لِلدَّاعِي مَا لَمْ يَعْجَلْ، حديث رقم: ٢٧٣٥.

بصورة مباشرة أو غير مباشرة، يقول ﷺ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: اللهُ أَكْثَرُ»[1].

- ومنها: الاقتصاد في الدعاء وعدم الاعتداء فيه، ومن أهم صور الاعتداء فيه: الإطناب والسجع المتكلف، وإنما السنة في الدعاء أن يكون بجوامع الكلم كما كان النبي ﷺ يفعل، فيسأل الله ﷻ من خيري الدنيا والآخرة، فعن ابْنِ لِسَعْدِ بن أبي وقاص رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: سَمِعَنِي أَبِي وَأَنَا أَقُولُ: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَنَعِيمَهَا، وَبَهْجَتَهَا، وَكَذَا، وَكَذَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَسَلاَسِلِهَا، وَأَغْلاَلِهَا، وَكَذَا، وَكَذَا، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: "سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ"، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، إِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ الْجَنَّةَ أُعْطِيتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ، وَإِنْ أُعِذْتَ مِنَ النَّارِ أُعِذْتَ مِنْهَا وَمَا فِيهَا مِنَ الشَّرِّ "[2].

(١) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب في انْتِظَارِ الفَرَجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، حديث رقم: ٣٥٧٣.
(٢) سنن أبي داود، أبواب فضائل القرآن، باب الدعاء، حديث رقم: ١٤٨٠.

- كذلك شرع الإسلام للدعاء آدابًا مندوبة، يسن للداعي أن يتحلى بها، منها: استقبال القبلة، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ ﷺ، قَالَ: " خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى هَذَا الْمُصَلَّى يَسْتَسْقِي، فَدَعَا وَاسْتَسْقَى، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ وَقَلَبَ رِدَاءَهُ"(١).

- ومنها: رفع اليدين عند الدعاء، فعن أَبي مُوسَى ﷺ قال: "دَعَا النَّبِيُّ ﷺ وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَرَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ"(٢).

- ومنها: أن يبدأ الداعي دعاءه بحمد الله تعالى، والثناء عليه، والصلاة على النبي ﷺ، وأن يتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، فعَنْ فضَالَةَ بن عُبَيْدٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ: اللهمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ الله بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ»، قَالَ: ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ الله وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا الْمُصَلِّي، ادْعُ تُجَبْ»(٣)، وسَمِعَ ﷺ رَجُلاً يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: «اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ

(١) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حديث رقم: ٦٣٤٣.
(٢) صحيح البخاري، كِتَابُ المَنَاقِبِ، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٣٥٦٥.
(٣) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ جَامِعِ الدَّعَوَاتِ، حديث رقم: ٣٤٧٦.

إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، قَالَ: «فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَ اللهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(١).

- ومنها: تكرار الدعاء، وهذا من فعل النبي ﷺ، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلاثًا»(٢).

- كذلك من الآداب المندوبة عند الدعاء: تخير الأوقات الفاضلة: كوقت السَّحَر، حيث يقول ربنا ﷻ: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٣)، وكالثلث الأخير من الليل، قال ﷺ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلْنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(٤)، كذلك الدعاء في يوم الجمعة، يقول النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»(٥).

---

(١) سنن الترمذي، أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ جَامِعِ الدَّعَوَاتِ، حديث رقم: ٣٤٧٥.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، حديث رقم: ١٧٩٤.
(٣) [سورة الذاريات، الآية ١٨].
(٤) صحيح البخاري، كتاب التهجد، بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، حديث رقم: ١١٤٥.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، بَابٌ فِي السَّاعَةِ الَّتِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، حديث رقم: ٨٥٢.

آداب المناسبات الاجتماعية(*)

الإنسان مدني بطبعه، مفتقر إلى جنسه، استعانته بغيره صفة لازمة لطبعه(٢)، ووجود المناسبات الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات تقوي بينهم روابط المحبة والأخوة، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾(٣)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾(٤).

وقد جعل النبي ﷺ هذه المحبة والألفة سببًا في دخول الجنة والفوز بنعيمها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول

(*) أعد هذا المبحث د/ محمد السيد نصار. مدير عام الإرشاد الديني.
(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ١٧٧، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.
(٣) [سورة الحجرات، الآية١٣].
(٤) [سورة الأنفال، الآية ٦٣].

الله ﷺ: "لا تَدْخُلُون الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوه تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بينكم"[1].

إن مشاركة الناس في مناسباتهم على اختلافها تعد من حق المسلم على أخيه، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ، وإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْه»[2]، واعتبر الإسلام أن الممتنع عن إجابة الدعوة بلا عذر عاصيًا لله تعالى، قال رسول الله ﷺ: «ومَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوةَ فَقَدْ عَصَى الله ورَسُولَهُ»[3]، ولا شك أن المسلم في هذه المناسبات الاجتماعية يجب عليه أن يلتزم بالآداب والقيم التي أمرنا بها ديننا.

ومن أهم هذه الآداب ما يلي:

- النية الصالحة عند حضور المناسبات الاجتماعية، فالنية الصالحة تجعل العادة عبادة، وتجعل من حضور هذه

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، حديث رقم: ٥٤.
(٢) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم: ٢١٦٢.
(٣) صحيح مسلم، كتاب النكاح، بَابُ الْأَمْرِ بِإِجَابَةِ الدَّاعِي إِلَى دَعْوَةٍ، حديث رقم: ١٤٣٢.

المناسبات الاجتماعية عملًا يثاب عليه المسلم. قال أبو حامد الغزالي ﷺ: "وما من شيء من المباحات إلا ويَحتمِل نيةً أو نيَّاتٍ يصير بها من محاسن القربات، ويُنال بها معالي الدرجات، فما أعظمَ خُسرانَ مَن يغفل عنها، وقال بعض العارفين من السلف: إني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء"(١).

- ومنها: المساعدة والتعاون إن أمكن، فمساعدة الناس بعضهم لبعض سلوك حضاري يُظهِرُ مدى رقي المجتمع وترابط أفراده، وقد حثّ الإسلام على التعاون وشجَّع على القيام به، فهو مطلب ربَّاني، يقول الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾(٢)، والكثير من المناسبات الاجتماعية؛ كالزواج والعزاء تحتاج إلى التعاون والمساعدة لإتمامها، وقد كان ﷺ القدوة الحسنة في ذلك، فقد ربَّى الصحابة ﷺ على أنَّ المسلمين معًا داخل المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا،

(١) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، كتاب النية والإخلاص والصدق، ٤/ ٣٧١، دار المعرفة، بيروت.
(٢) [سورة المائدة، الآية ٢].

قال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»[1]، والذي يقوم بإعانة إخوانه جزاؤه من الله التوفيق والإعانة، فيتولى الكريم العظيم قضاء حاجاته ويبارك له في أوقاته ويختم له بحسن العاقبة، يقول النبي ﷺ: «وَاللهِ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[2].

- ومنها: الالتزام بآداب الطعام عند الولائم: فبعض المناسبات الاجتماعية كالزواج وغيره تقام فيها الوليمة؛ حيث يجتمع الأحباب والأصحاب حول مائدة الطعام، والوليمة أمر مستحب قد أمر به النبي ﷺ، فعن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه أنَّ عبدَ الرَّحمنِ بنَ عَوفٍ جاء إلى رَسولِ الله ﷺ وبه أثَرُ صُفرةٍ، فسأله ﷺ، فأخبَرَه أنَّه تزوَّجَ امرأةً مِن الأنصارِ، قال: كم سُقتَ إليها ؟ قال: «زِنةَ نواةٍ مِن ذهَبٍ»، فقال رَسولُ الله ﷺ: «أولِمْ ولو بشاةٍ»[3].

ومن آداب الولائم: ألا يذهب إليها إلا المدعوون لها؛ حتى لا يقع صاحب الدعوة في حرج، فقد جَاءَ رَجُلٌ مِنَ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ تَعَاوُنِ الْمُؤْمِنِيْنَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، حديث رقم: ٦٠٢٦.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ، حديث رقم: ٢٦٩٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، بَابُ الصُّفْرَةِ لِلْمُتَزَوِّجِ، حديث رقم: ٥١٥٣.

الأنْصَارِ يُكْنَّى: أبَا شُعَيْبٍ، فَقالَ لِغُلَامٍ له قَصَّابٍ (جَزَّار): اجْعَلْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً؛ فإنِّي أُرِيدُ أنْ أدْعُوَ النبيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ؛ فإنِّي قَدْ عَرَفْتُ في وجْهِهِ الجُوعَ، فَدَعَاهُمْ، فَجَاءَ معهُمْ رَجُلٌ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ هذا قَدْ تَبِعَنَا، فإنْ شِئْتَ أنْ تَأْذَنَ له فَأْذَنْ له، وإنْ شِئْتَ أنْ يَرْجِعَ رَجَعَ، فَقالَ: لَا، بَلْ قدْ أذِنْتُ له»[1].

- ومنها: عدم الإسراف والتبذير، فظاهرة الإسراف والبذخ في المناسبات الاجتماعية، وبخاصة حفلات الزواج ومجالس العزاء تتعارض مع آداب الإسلام، وهدي الرسول ﷺ الذي يأمرنا أن نبتعد كل البُعْد عن الإسراف في المباحات، وأن نلتزم القصد والاعتدال والتوسط في كل شأن، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[2]، ويقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[3]، وأكد ذلك ﷺ في سنته

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ مَا قِيلَ فِي اللَّحَّامِ وَالجَزَّارِ، حديث رقم: ٢٠٨١.
(٢) [سورة الإسراء، الآية ٢٩].
(٣) [سورة الفرقان، الآية ٦٧].

نظريًّا وعمليًّا، وحذَّر من الإسراف والتبذير، حيث قَالَ: «كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا مالم يخالطه إسراف أو مخيلة»[1]، وقال: ﷺ: «إِنَّ الله كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ المالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ»[2].

– ومنها: الظهور بالمظهر اللائق عند حضور المناسبات الاجتماعية، فالإسلام دين يحب الجمال ويدعو إليه في كل شيء، قال ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ مَنْ كان في قلبِهِ مِثقالُ ذرَّةٍ من كِبرٍ، قِيلَ: إنَّ الرجُلَ يُحبُّ أنْ يكونَ ثوبُهُ حسنًا، ونعلُهُ حسنةً، قال: إنَّ اللهَ جميلٌ يُحبُّ الجمالَ، الكِبرُ بطَرُ الحقِّ، وغمْطُ الناسِ»[3]، وإذا كان الله يحب الجمال فإن الإنسان الذي خلقه الله في أحسن تقويم، من شأنه أيضًا أن يحب الجمال، وكان ﷺ يحب المظهر الطيب واللباس الطيب، وعن البَرَاء رضي الله عنه قال: كان ﷺ مَرْبُوعًا، وَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ، مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْهُ»[4].

(١) سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، بَابُ الْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَكَ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ، حديث رقم: ٣٦٠٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: (لا يسألون الناس إلحافًا)، حديث رقم: ١٤٧٧.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، حديث رقم: ٩١.
(٤) صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب الثوب الأحمر، حديث رقم: ٥٨٤٨.

آداب الصحبة(*)

مـن المعلـوم أنَّ للصحبـةِ الصالحةِ أثرًا عظيماً في سـلوك الفـرد ومـن ثمّ المجتمع، ومـن هنا فلا بد مـن مصاحبةِ مَنْ لـه فضلٌ في العلم والدِّينِ والأخلاقِ؛ لأن للمصاحبة تأثيرًا في اكتسـاب الأخـلاق، وتنـاول القيـم، وتعبئـة المعـارف، وتشـكيل الثقافـة، فـكل صاحبٍ تنطبع نفسـه بما يـراه من تصرفاتٍ وسـلوكٍ وأفعالٍ لصاحبـه، فيأخذ عنه، ويتأثر به، فـإن أخلاق المرء تصلـح بمصاحبة أهل الصلاح، وتفسـد بمصاحبة أهل الفساد.

والصحبـة تـدل عـلى المؤانسـة، والألفـة، والاقـتران، والملازمـة؛ ممـا يؤكـد عـلى أنهـا تعنـي الارتبـاط والتـلازم والإينـاس، وذلك كلـه في غير مصلحة أو حاجـة أو انتفاع أو غاية شخصية.

(*) أعد هذا المبحث د/ أسامة فخري الجندي، مدير عام المساجد.

فلا شك إذن أن من أجمل العلاقات في الحياة (علاقة الصحبة)، والتي هي قائمة على غرس أسباب التعاطف والتآلف والود والقرب البعيدة عن الأغراض الهابطة والأسباب الرخيصة، قال رَسُولِ الله ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ الله خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»[1].

ولأن الإسلام أولى الإنسانَ أهميةً كبرى؛ حيث جعل بناءَ الإنسان مقدّمًا على البنيان، فقد جاء بقوانين وضوابط تُنَظّمُ حياةَ الإنسان باعتباره فردًا أو مجتمعًا أو أمة، وحتى نصل إلى هذه الصحبة الصادقة في الدنيا وثمرتها المرجوّة في الآخرة، فهناك قِيَمٌ وآدابٌ هي في ذاتها معايير للسلوك الإنساني في طريق الصحبة لا يمكن الاستغناء عنها، وبقدر وجودها تدوم الصحبة أو تنعدم، ومن جملة هذه القيم والآداب:

- المحبة والتودد في طريق الصحبة، بحيث يقوم الإنسانُ بما يُحَقّق التواصلَ والترابطَ والتراحمَ والتعاونَ وقِيَمَ الوفاء،

(١) مسند أحمد، ١١/ ١٢٦، حديث رقم: ٦٥٦٦.

وكلَّ ما يُؤكّد السَّـكَنَ النفسي، ويؤدي إلى فعلِ البر والخير، حتى يصل الأمر إلى أن يجعـلَ صاحبَـه كأنه جـزء منـه، فلا يُمَيّز نفسَـه عنـه، كمـا أنَّه لا يرضى له بما هـو أقل منه، وإنما يريـد ويحب له ما يحبه لنفسـه تمامًا، وتلك سـمة رئيسـة من سمات كمال الإيمان التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

ومـن الأمـور التي تؤسـس للمـودة والمحبـة في طريق الصحبـة الصادقة ما أخبر عنه سـيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقولـه: «ثَلَاثٌ يُصَفِّينَ لَكَ وُدَّ أَخِيكَ: تُسَـلِّمُ عَلَيْهِ إِذَا لَقِيتَهُ، وَتُوَسِّعُ لَهُ فِي المَجْلِسِ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ»[2].

فالصاحـب إذن هـو مـن يحب لصاحبِـه الخـيرَ ويُزَكّيه بسـائر الفضائل من الخصال الحميدة، وإذا كان حبُّ الشيء يسـتلزم بغضَ ما يناقِضُه، فإن مـن الآدابِ الإيمانيةِ الواجبة في طريـق الصحبة أن يبغضَ الصاحـبُ لصاحبِه كما يبغضُ لنفسـه من الشر، وإن وقع في زلـلٍ فعليه أن يعذرَه فيه، وقد قال أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، بَابٌ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، حديث رقم: ١٣.
(٢) إحياء علوم الدين، كِتَابُ آدَابِ الْأُلْفَةِ وَالْأُخُوَّةِ وَالصُّحْبَةِ، ٢ / ١٨١.

إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لِزَلَّتِهِ عُذْرًا[1]

فالحب الخالص من أقوى دلالات قوة الصحبة؛ لأنه أداة تحقيق الروابط الإنسانية التي تعمل على تنمية مشاعر الإخاء والود، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي الله إِلَّا كَانَ أَعْظَمُهُمَا أَجْرًا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ»[2].

ومن المعلوم أن الله ﷻ رفع من درجة المتحابين فيه حتى جعلهم في ظلِّ عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وهذا ما عبّر عنه النبي ﷺ بقوله: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»[3]، فهي علاقة يملؤها قيم الحب الصافي في الدنيا، وتؤدي في الآخرة إلى مثوبةٍ وعطاءٍ، ما أجمله! حيث يغبطهم الأنبياءُ والشهداءُ يومَ القيامة لمكانهم من الله ﷻ،

(١) المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري، ٧/ ١٤٠، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ.
(٢) شعب الإيمان للبيهقي، الحادي والستون من شعب الإيمان (مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم)، حديث رقم: ٨٦٣٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأذان، بابُ مَنْ جَلَسَ فِي المَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ، حديث رقم: ٦٦٠.

يقـول ﷺ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ عَـلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْـوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَـا، فَـوَاللهِ إِنَّ وُجُوهَهُـمْ لَنُـورٌ، وَإِنَّهُـمْ عَـلَى نُورٍ لَا يَخَافُـونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُـونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»[1].

– ومنهـا: تبشـيره بالخـير وإدخـال السـرور عليـه، فالصاحب الفطن هو الذي يدعم صاحبه إن أصابه شيءٌ أو آلمه أمرٌ أو ضرّه شأنٌ، فيعمل على تقوية معنوياته، والتخفيف من آلامه بالفأل الحسـن، وهو الكلمة الطيبة الحسنة، فتعلو الجوانبُ المعنويةُ والوجدانيةُ، فيؤدي الصاحبُ هنا حقًّا من حقوق الصحبة وهو نفيُ التطير والتشاؤم عن صاحبه؛ لأن مثل هذا التطيّر والتشـاؤم يثبّط همـةَ صاحبه، وقد قال ﷺ: «لاَ عَـدْوَى وَلاَ طِـيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُـوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»[2].

– ومنها: إدامة التبسـم والوجه الطلـق، فهما عنوان المودة والمؤانسـة، فالابتسـامة تعبـير يؤكد عـلى صفاء ونقـاء سريرة

(١) سنن أبي داود، كتاب البيوع، باب في الرهن، حديث رقم: ٨٥٨٥.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الطب، بابُ الطيرة، حديث رقم: ٥٧٥٤.

صاحبها، تلك هي الابتسامة التي جعلت سيدَنا جريرَ بنَ عبدِ الله البجلي ﷺ يتذكرها ويكتفي بها هَدِيّةً من الرسول ﷺ فيقول: «مَا رَآنِي رَسُولُ الله ﷺ إِلاَّ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي»[1]، وقد بيّن ﷺ أن في الابتسامة أجرًا، فقال ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»[2].

– ومنها: الصفاء والنقاء، وهما عبارة عن تصفية النفس من بواعث الحقد والحسد والبغض والكراهية، وكذلك من الظنِّ والتنافسِ السيئ، والتأكيد على حبِّ الخير له والنعمة عنده، فكل ما يحول دونَ صفاءِ القلوب من الرذائل منهيٌّ عنه في طريق الصحبة، وقد قال ﷺ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، وَلاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ»[3].

– ومنها: حسنُ الظن وعدمُ اللوم أو الاتهام، وقبولُ المعذرة، فعن مُحَمَّد بْنِ أَبِي الرَّجَاءِ، قَالَ: قَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَد: «أَرْبَعٌ تَعْرِفُ بِهِنَّ الْأُخْوَةَ: الصَّفْحُ قَبْلَ الِانْتِقَادِ لَهُ، وَتَقْدِيمُ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ التَّبَسُّم وَالضَّحِكِ، حديث رقم: ٦٠٨٩.
(٢) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ، حديث رقم: ١٩٥٦.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ، حديث رقم: ٦٠٦٥.

حُسْنَ الظَّنِّ قَبْلَ التُّهْمَةِ، وَبَذْلُ الْوُدِّ قَبْلَ الْمَسْأَلَةِ، وَمَخْرَجُ الْعُذْرِ قَبْلَ الْعَيْبِ»، وَلِذَلِكَ نَقُولُ:

أَخُوكَ الَّذِي يُعْطِيكَ قَبْلَ سُؤَالِهِ وَيَصْفَحُ عِنْدَ الذَّنْبِ قَبْلَ التعتب[1]

- ومنها: النصيحة، وتُعَد من أهم سُبُلِ الصحبة الرصينة وواجباتِها؛ فمن خلالها الابتعاد به عن مواطن الزلل أو الفساد، والتنزيه له عن الأعمال المنافية أو ارتكاب الرذائل، والأخذ بيده نحو طريق الاستقامة والرشد والصواب.

ومن الأمور المندوب إليها أيضًا في طريق النصح: أن يكون الصاحبُ في نُصحه رفيقًا، ليِّن القول، لطيفَ الفعلِ والتوجيه، وأن يتحرى ويتخيرَ الوقت المناسب الذي يدخل بنصحه من خلاله لصاحبه، وقد قال الشَّافِعِيُّ ﷺ: «مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ نَصَحَهُ وَزَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ فَضَحَهُ وَشَانَهُ»[2]. وقد كان هذا هو عين التوجيه الإلهي

(١) جزء بن عمشليق، لأحمد بن علي بن محمد الجعفري أبو الطيب (المتوفى: ق ٤هـ)، تحقيق: خالد بن محمد بن علي الأنصاري، ص ٥٠، ط دار ابن حزم، بيروت، لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

(٢) شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي، ٢/ ٢٤.

لنبيه موسى وأخيه هارون ﷺ حين بعثهما إلى فرعون، فأمرهما باللين في القول والنصيحة؛ حيث قال تعالى: ﴿اذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، فكيف بنصحٍ في طريق الصحبة ؟!.

* * *

(١) [سورة طه، الآيتان ٤٣، ٤٤].

آداب التداوي(*)

لقد حثَّ الإسلامُ على عمارة الأرض بكل السُّبُل المشروعة، فالعمارة والإصلاح مطلب شرعي، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(١)، فالإعمار مُعين للعبد في عبادته لله تعالى، وهو كذلك معين على الإحسان لبني البشر، فمن أوجه العمارة في الأرض تحقيق الرفاهية للناس في تلبية متطلباتهم من مأكل ومشرب ومسكن وعلاج، فالتوسع في البحث العلمي وما يترتب عليه من التقدم في علم الطب بفروعه المتعددة وإنتاج ما يحتاجه البشر من أدوية هو من صميم أوامر الشرع الحنيف؛ لتحقيق الخلافة والعمارة في الأرض.

ولقد أمر النبي ﷺ المسلمين بالتوسع في البحث لكل داء عن دوائه، وأخبرنا بأن الله ﷻ قد أنزل الدواء مع الداء مقرونًا

(*) أعد هذا المبحث د/ عمرو محمد عبد الغفار الكبار، مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة.
(١) [سورة هود، الآية ٦١].

به وليس بعده، قال ﷺ: «تَدَاوَوْا عِبَادَ الله، فَإِنَّ الله ﷻ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً، إِلَّا المَوْتَ، وَالْهَرَمَ»(١)، وقال ﷺ: «إنَّ الله لم يُنزِل داءً إلاَّ أَنزَلَ له شِفاءً: عَلِمَه من عَلِمه، وجَهِله من جَهِله»(٢)، وفي رواية: «لكلِّ داءٍ دَواءٌ، فإذا أُصابَ دواءُ الدَّاءَ، بَرِئَ بإذن الله»(٣)، وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ، قَالَ: قَالَتِ الأَعْرَابُ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا نَتَدَاوَى؟ قَالَ: «نَعَمْ، يَا عِبَادَ الله تَدَاوَوْا، فَإِنَّ الله لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً إِلَّا دَاءً وَاحِدًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «الهَرَمُ»(٤).

إنَّ ما يدعيه بعض النَّاسِ من أنَّ بعض الأمراض ليس لها دواء ليس بصواب؛ بل دواؤها موجود ولكن في الكشف عنه والوصول إليه قصور، وكأنَّ النبيَّ ﷺ بذلك يوجه العلماء إلى الأخذ بأحدث الأساليب العلمية حتى يُجَدِّدوا الدواء لكلِّ داء، فيصل العلاج لكل محتاج إليه.

وقد ذهب أهل العلم إلى استحباب التداوي للأحاديث التي فيها الأمر بالتداوي، وقالوا: احتجام النبي ﷺ

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الطب، بَابُ مَا أَنْزَلَ الله دَاءً، إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، حديث رقم: ٣٤٣٦.
(٢) مسند أحمد ٦ / ٥٠، حديث رقم: ٣٥٧٨.
(٣) صحيح مسلم، كتاب السلام، بَابُ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ وَاسْتِحْبَابِ التَّدَاوِي، حديث رقم: ٢٢٠٤.
(٤) سنن الترمذي، أبواب الطب، بَابُ مَا جَاءَ فِي الدَّوَاءِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، حديث رقم: ٢٠٣٨.

وتداويه دليل على مشروعية التداوي، ومحل الاستحباب عند عدم القطع بإفادته، أما لو قُطِع بإفادته كعَصْب الجُرح، أو كان تركه يُفضي إلى تلف النفس أو أحد الأعضاء أو العجز، أو كان ترك علاج المرض يُؤدي إلى انتشار ضرره إلى غيره -كالأمراض المعدية أو في حالات الأوبئة- فإنّ التداوي حينئذ يكون واجبًا[1].

ومن أهم آداب التداوي:

- التوكل على الله ﷻ، وهو: صدقُ اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح، ودفع المضارِّ من أمور الدنيا والآخرة كُلِّها[2]، فهو يعني الاعتقاد الجازم بالقلب بأن الشفاء من الله وحده، وأنه خالق النَّفْع والضَّر، ولابد مع هذا الاعتقاد من مباشرة الأسباب، فيتعلق قلب المؤمن بمسبب الأسباب وخالق الشفاء في الدواء مع الأخذ بالأسباب المأمور بها، ففعل السبب لا ينافي التوكل، فها هو الرسول ﷺ لم يقدح في كمال توكله على الله سبحانه تعاطيه الأسباب، فقد ظاهر بين درعين لئلا

(١) يُنظر: الفواكه الدواني لشهاب الدين النفراوي، ٢ / ٤٤٠، وروضة الطالبين للنووي، ٢ / ٩٦، وحاشية ابن عابدين، ٥/ ٢١٥، ٢٤٩، ط دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٢) جامع العلوم والحكم لا بن رجب، ٣ / ١٢٦٦، ط دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ.

يسهل اختراقها، وخندق حول المدينة، فَبَيَّنَ بسنته القولية والفعلية أن الاحتراز والأخذ بالسبب لا ينافي التوكل، بل هو من التوكل، فيجب على المسلم أن يعقد قلبه جازمًا بأن الشفاء بيد الله ﷻ، وأن يسعى لرفع البلاء بكل سبب مباح، فيستشير الطبيب ويأخذ الدواء.

- ومنها: أن يقصد الطبيب الحاذق الماهر العارف بفنون صنعته، ولا يتبع قول أنصاف المتعلمين ممن يخوضون فيما لا يعلمون، قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]، قَالَ الزَّجَّاجُ: «مَعْنَاهُ سَلُوا كُلَّ مَنْ يُذْكَرُ بِعِلْمٍ وَتَحْقِيقٍ»[2]، فالناس أبناء ما يحسنون، ومما ينسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه [3]:

ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ على الهدى لمن استهدى أدلّاءُ

وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداءُ

(١) [سورة النحل، الآية ٤٣].

(٢) مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، ٢٠/ ٢١١، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، ٣/ ١٦١٩، ط دار الفكر المعاصر، سورية، ١٤٢٠هـ.

فالمؤمن كيس فطن يُنزل الأمر بأهله، ويسند القضية لمن يحسن حلها، وقد وجه النبي ﷺ إلى ذلك في مواضع، منها: أن رسول الله ﷺ في الهجرة استأجر هاديًا محترفًا يدله على أقصر الطرق غير المألوفة للمدينة، قالت السيدة عَائِشَةُ رضي الله عنها: «وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا هَادِيًا خِرِّيتًا، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا»[1]، والخِرِّيتُ: الدليل الحاذق بالدَّلالة، فلم يستأجر أنصاف الأدلاء، إنما الماهر الحاذق[2].

أما من تجرأ فخاض فيما لا يعلم فهو ضامن لما أتلف بقوله أو بعمله، قال ﷺ: «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعْلَمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ، فَهُوَ ضَامِنٌ»[3]، قال الطيبي: «لا أعلم خلافًا في أن المعالج إذا تعدى فتلف المريض كان ضامنًا، والمتعاطي علمًا أو عملًا لا يعرفه معتدٍ، فإذا تولد من فعله التلف ضمن الدية وسقط عنه القود؛ لأنه لا يستبد بذلك دون إذن المريض وجناية الطبيب في قول عامة الفقهاء على عاتقه»[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، بَابُ إِذَا اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا لِيَعْمَلَ لَهُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، أَوْ بَعْدَ شَهْرٍ، أَوْ بَعْدَ سَنَةٍ جَازَ، حديث رقم: ٢٢٦٤.

(٢) لسان العرب، فصل الخاء المعجمة، مادة: «خرت» ٢ / ١١٢٤.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الديات، باب فيمن تَطَبَّبَ بغير علم فأعْنَتَ، حديث رقم: ٤٦٨٦.

(٤) شرح المشكاة للطيبي «الكاشف عن حقائق السنن»، ٨/ ٢٤٨٣. ومعالم السنن للخطابي، ٤/ ٣٩.

ومنهـا: أن يكـون التـداوي بالمبـاح الطاهـر، فـلا يجـوز التـداوي بالحـرام أو بالنجس، فعن أبي هُريـرة ﷺ قال: نهى رسـولُ الله ﷺ عنِ الدَّواءِ الخَبيـثِ[1]، وقال ﷺ: «إنَّ الله ﷻ أنْـزَلَ الـدَّاءَ والـدَّواء، وجَعَـلَ لِـكُل داءٍ دَوَاءً، فَتَـداووا، ولا تَدَاووا بحرَام»[2]، إلا إذا أوجبت الضرورة العلاج به، بحيث أخبر الطبيب الموثوق بخبرته أن هذا الدواء نافع لهذا المرض، وأنه لا يوجد مـن الأدوية المباحة ما يقوم مقامه، فيجوز عند الضرورة اسـتعمال المُحَرَّم في الأكل والتّـداوي للأدلة العامة عـلى إباحـة المُحَرَّم للمضطـر، كقـول الله ﷻ: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾[3].

قـال النـووي: «يَجُـوزُ التَّـدَاوِي بِالنَّجَاسَـةِ إِذَا لَمْ يَجِدْ طَاهِـرًا يَقُـومُ مَقَـامَهَـا فَإِنْ وَجَـدَهُ حَـرُمَتْ النَّجَاسَـاتُ بِـلَا خِـلَافٍ»[4]، وقـال العـز بـن عبـد السـلام: «جَازَ التَّدَاوِي بِالنَّجَاسَـاتِ إِذَا لَمْ يَجِـدْ طَاهِرًا يَقُومُ مَقَامَهَا، لِأَنَّ

(١) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، حديث رقم: ٣٨٧٠.
(٢) المصدر السابق، باب في الأدوية المكروهة، حديث رقم: ٣٨٧٤.
(٣) [سورة الأنعام، الآية ١١٩].
(٤) المجموع شرح المهذب للنووي، ٩/ ٥٠، دار الفكر، بيروت، لبنان.

مَصْلَحَـةَ الْعَافِيَـةِ وَالسَّـلَامَةِ أَكْمَلُ مِنْ مَصْلَحَـةِ اجْتِنَابِ النَّجَاسَةِ»[1].

- ومنها: ألا يكـون الدواء بالخرافات أو البدع، وما إلى ذلك من عَمَل السَّحرة والمشعوذين والدجَّالين، فالنبي ﷺ أبطـلَ كلَّ مظهرٍ مـن مظاهر الـشرك والوثنيـة في التَّداوي، كالاعتِـماد على التَّمائـم والقوى الخفيَّة، قـال ﷺ: «من علَّقَ تَميمةً فقد أشـركَ»[2].

وهـذا إن اعتقـد أنها تجلـب نفعًا أو تدفع ضرًّا بنفسـها، فلا شك في شركه حينئذ؛ لأنه قد اعتقد أن في الكـون مؤثرًا وفاعـلًا مـع الله ﷻ، أما إن علقها من غـير هذا الاعتقاد فلا شك أنه آثم ولكنَّه ليس بمشرك، وفي روايةٍ: «من علَّقَ تَميمةً فـلا أتـمَّ اللهُ له، ومن علَّقَ ودعةً فـلا وَدَعَ اللهُ له»[3]، أي: لا تركه اللهُ في دَعةٍ وسُكون.

وينبغي للمسلم أن يعلم أن ما جاء من بُرءٍ أو شفـاءٍ على أثـر تميمة أو رقى غير مشروعة فإنَّما هي من تزيين الشـيطان

(١) قواعـد الأحـكام في مصالـح الأنام للعز بن عبد السـلام، ١/ ٩٥، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ هـ-١٩٩١م.
(٢) مسند أحمد، ٢٨ / ٦٣٧، حديث رقم: ١٧٤٢٢.
(٣) مسند أحمد، ٢٨ / ٦٢٣، حديث رقم: ١٧٤٠٤.

وتلبيسه، فعن زينبَ امرأةِ عبدِ الله بن مسعود، عن زوجها عبد الله ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ الرُّقَى والتَّمائِمَ والتِّوَلَةَ شِرْكٌ»، قالت: قلتُ: لِمَ تقولُ هذا؟ والله لقد كانت عَيني تَقْذِفُ وكنتُ أختلِفُ إلى فُلانٍ اليهوديِّ يَرْقِيني، فإذا رقَانِي سَكَنَتْ، فقال عبدُ الله: إنما ذاكَ عملُ الشَّيطانِ كان يَنْخَسُها بيدِه، فإذا رقَاها كَفَّ عنها، إنما كانَ يَكْفيكِ أن تقولي كما كان رسولُ الله ﷺ يقولُ: «أذْهِبِ البأس ربَّ النَّاسِ، اشْفِ أنت الشَّافي، لا شِفَاءَ إلا شِفاؤُك، شفاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً»[1].

* * *

(١) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب تعليق التمائم، حديث رقم: ٣٨٨٣.

آداب البيع والشراء(*)

لقد أباحت الشريعة الإسلامية صور الكسب الحلال التي ليس فيها اعتداء ولا ظلم ولا ضرر على الغير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾(١)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ الله أَمَرَ المؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾(٢)، وقَالَ ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾(٣)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ

(*) أعد هذا المبحث الشيخ/ إسلام محمد مختار النواوي، عضو الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة.
(١) [سورة البقرة، الآية ١٧٢].
(٢) [سورة المؤمنون، الآية ٥١].
(٣) [سورة البقرة، الآية ١٧٢].

يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»[1].

والبيع والشراء شرعه الإسلام لاستقرار المجتمع وتلبية كثير من حاجاته ومصالحه، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[2]، وعدَّه النبيُّ الأمين ﷺ من أهم المكاسب وأطيبها، فعَنْ عَبَايَةَ بْنِ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «كَسْبُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»[3]. **والبيع والشراء ضرورة** من ضروريات الحياة قد وضع لها الإسلام آدابًا:

- منها: أن يتجنب البائع الحلف الكاذب لترويج السلعة؛ لما فيه من الخداع والتلبيس على المشتري، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ؛ لِيَقْتَطِعَ بِهَا

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، حديث رقم: ١٠١٥.
(٢) [سورة البقرة، الآية ٢٧٥].
(٣) المستدرك للحاكم، كتاب البيوع، حديث رقم: ٢١٦٠، ومسند أحمد، ٢٨/ ٥٠٢، حديث رقم: ١٧٢٦٥. واللفظ للحاكم.

مَـالَ رَجُلٍ مُسْـلِمٍ، وَرَجُـلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُـولُ اللهُ: اليَوْمَ أَمْنَعُـكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْـتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَـدَاكَ»[1]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ"[2].

- ومنها: ترك البائع لكل أنواع الغش والتدليس والخداع، فهو محرم بإجماع المسلمين، وصاحبه ليس على طريق النبي ﷺ ولا عـلى هديه، فعـن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «ومَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا»[3].

- ومنهـا: عدم البيع عـلى بيع أخيه، لما فيه من التشـاحن والتباغض وقطع أواصر المودة بين الناس، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ»[4].

- ومنهـا: عدم التطفيـف في الكيل والميـزان، لما فيه من سرقـة أقـوات الناس وإدخـال الضـرر عليهم، قـال تعالى:

(١) صحيح البخاري، كتاب المساقاة، بَابُ مَنْ رَأَى أَنَّ صَاحِبَ الحَوْضِ وَالقِرْبَةِ أَحَقُّ بِمَائِهِ، حديث رقم: ٢٣٦٩.
(٢) سنن الترمذي، أبواب البيوع، بَابُ مَا جَاءَ فِي التُّجَّارِ وَتَسْمِيَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهُمْ، حديث رقم: ١٢٠٩.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا، حديث رقم: ١٠١.
(٤) صحيح مسلم، كتاب البيوع، بَابُ تَحْرِيمِ بَيْعِ الرَّجُلِ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَسَوْمِهِ عَلَى سَوْمِهِ، وَتَحْرِيمِ النَّجْشِ، وَتَحْرِيمِ التَّصْرِيَةِ، حديث رقم: ١٤١٢.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[2]، وقال ﷺ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]، وعن عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ المهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِالله أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلاَفِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ المؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ.."[4].

(١) [سورة المطففين، الآيات ١ – ٣].
(٢) [سورة الإسراء، الآية ٣٥].
(٣) [سورة الأعراف، الآية ٨٥].
(٤) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، بَابُ الْعُقُوبَاتِ، حديث رقم: ٤٠١٩.

- ومنها: إنظار المعسر، لما فيه من الرفق بالناس والتيسير عليهم، والرأفة بهم، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ»[1].

- ومنها: عدم الاحتكار مهما كانت الأرباح والمكاسب من ورائه مغرية، خاصة إن كان في السلع الأساسية التي يحتاج إليها الناس، والاحتكار معناه: حبس السلعة بقصد رفع سعرها، وزيادة الربح على حساب الناس والمجتمع، وهو دليل على سوء خلق صاحبه؛ لذا نهى النبي ﷺ عن كل ألوان الاحتكار، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنِ احْتَكَرَ حُكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُغْلِيَ بِهَا عَلَى المُسْلِمِينَ، فقد بَرِئَت منه ذمة الله ورسوله»[2]، ويقول ﷺ: «مَنِ احْتَكَرَ عَلَى المُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ، ضَرَبَهُ اللهُ بِالْجُذَامِ وَالْإِفْلَاسِ»[3]، وقال النبي ﷺ: «لَا يَحْتَكِرُ إِلاَّ خَاطِئٌ»[4].

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع، بَابُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، حديث رقم: ٢٠٧٨.
(٢) مسند أحمد، ١٤/ ٢٦٥، حديث رقم: ٨٦١٧.
(٣) سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، بَابُ الْحُكْرَةِ وَالجَلَبِ، حديث رقم: ٢١٥٥.
(٤) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، بَابُ تَحْرِيمِ الِاحْتِكَارِ فِي الْأَقْوَاتِ، حديث رقم: ١٦٠٥.

- ومنها: ألا يبيع شيئًا مسروقًا، قال ﷺ: «مَنِ اشْتَرَى سَرِقَةً وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا سَرِقَةٌ فَقَدِ اشْتَرَكَ فِي عَارِهَا وَإِثْمِهَا»[1]؛ لأن بيع المسروق وشراءه إفساد للمجتمع وإشاعة للباطل فيه، وتشجيع لآكلي الحرام، وجرأة على مال الناس وأملاكهم.

* * *

(١) سنن أبي داود، كتاب البيوع، بَابُ كَرَاهِيَةِ مُبَايَعَةِ مَنْ أَكْثَرُ مَالِهِ مِنَ الرِّبَا أَوْ ثَمَنِ الْمُحَرَّمِ، حديث رقم: ٢١٥٥.

آداب التعامل مع الإنترنت(*)

مما لا شك فيه أن عَالمَ الإنترنت فيه اجتماع لكثير من البشر على تنوع أجناسهم، وألوانهم، وتعدد فئاتهم العمرية، واختلاط لكثير من الأفكار والرؤى على تنوعها واختلافها، فكان لا بد من وضع ضوابط حتى توجه هذه الشبكة العملاقة للخير والفائدة، لا للفساد والإفساد.

وكلمة الآداب تعني: مجموعة القواعد العامة المتبعة والمستخدمة التي تظهر في السلوكيات والمعاملات، ويقصد بـ "الإنترنت": شبكة المعلومات ووسيلة التواصل العالمية التي يتم من خلالها استقاء المعلومات، والتواصل بين الأفراد والمؤسسات، وجعلت العالم يشبه القرية الصغيرة.

(*) أعد هذا المبحث د/ محمد أحمد حامد، مدير مكتبة المخطوطات بالسيدة زينب.

ومن أهم آداب التعامل مع الإنترنت ما يلي:

- الصدق: وهو على نوعين، الأول: صدق النية، فكل عمل يتطلب نية صادقة ليؤجر صاحبه عليه، حيث يقول نبينا ﷺ: "إِنَّما الأعمالُ بالنيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى.."[1]، والآخر: الابتعاد عن الكذب، فلا ينبغي أبدًا أن يكذب الإنسان بحال من الأحوال، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[2]، ويقول ﷺ: "إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا"[3]، فيجبُ تحري الصدق في كل ما يصدر عن الإنسان في تعامله مع (الإنترنت)، بخاصة أنه يستتر عمن يخاطبه، فهو من الخلوات التي يجب أن يراقب فيها الله ﷻ، ومن هنا يجب أن يتعامل بشخصيته

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، حديث رقم: ١، وصحيح مسلم، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ قَوْلِهِ ﷺ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، حديث رقم: ١٩٠٧.

(٢) [سورة التوبة، الآية ١١٩].

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وما ينهى عن الكذب، حديث رقم: ٦٠٩٤.

الحقيقية، ولا يكون مخادعًا، وقد نهانا عن ذلك نبينا ﷺ بقوله: "تَجِدُ مِن شَرِّ النَّاسِ يَومَ القيامةِ عِندَ الله ذَا الوَجهَينِ؛ الذِي يأتِي هَؤُلاءِ بِوجهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجهٍ"(١).

وللصدق ثماره الطيبة التي تعود على الفرد والمجتمع، فبالصدق يكون المجتمع واضحًا نقيًّا، تنتشر فيه الثقة والأمان، وكذلك له ثماره الطيبة في الآخرة فينال العبد رضوانًا من الله سبحانه، يقول تعالى: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾(٢).

-ومنها: احترام خصوصية الآخرين، فلا ينبغي اختراق المجموعات أو الدخول في الحوارات إلا بعد إذن أصحابها، فهي تشبه البيوت التي لا تُدخَل إلا بعد الاستئذان الشرعي، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، حديث رقم: ٦٠٥٨.
(٢) [سورة المائدة، الآية ١١٩].

عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، وتشديدًا على احترام الخصوصية وتغليظ عقوبة من يخترقها، يقول نبينا ﷺ: "لَوْ أَنَّ امْرَأً اطَّلَعَ عَلَيْكَ بغيرِ إِذْنٍ فَخَذَفْتَهُ بِعَصاةٍ فَفَقَأْتَ عَيْنَهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ جُناحٌ"[2].

- ومنها: عدم الضرر، فلا ينبغي إيقاع أي ضرر بالآخرين، سواء أكان ماديًّا، أم معنويًّا، كبيرًا كان أم صغيرًا، قال ﷺ: "لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ"[3]، وقال: "مَنْ ضَارَّ أَضَرَّ اللهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَقَّ اللهُ عَلَيْهِ"[4].

- ومنها: احترام الآخرين، فلكل إنسان رأيه الذي ينبغي أن يحترم مهما كان مختلفًا، والفكرة تناقش بالفكرة، فلا ينبغي أبدًا أن يَجرحَ أحدٌ أحدًا، أو أن يسيء إليه أو أن يسخر منه، والإسلام يعلمنا احترام الصغير والكبير، والتعامل بالحسنى مع جميع الناس، فيأمرنا باحترام كل العقائد، والتعامل بالتي هي أحسن، وقول الأحسن، حيث

(١) [سورة النور، الآية ٢٧].
(٢) صحيح البخاري، كتاب الديات، بَابُ القَسَامَةِ، حديث رقم: ٦٩٠٢.
(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، حديث رقم: ٢٣٤١.
(٤) المصدر السابق، وحديث رقم: ٢٣٤٢.

يقول ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[1]، ويقول ﷻ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾[2].

- ومنها: كظم الغيظ، والدفع بالتي هي أحسن، فالمتعاملون مع هذه الشبكة كُثُر، ومن ثقافات مختلفة، وقد يبتلى الإنسان بجاهل، أو أحمق، أو مخالف، وقد يصدر منه ما يثير غضبك، هنا يجب عليك كظم الغيظ، وهذا خلق كريم، وجَّه الله تعالى إليه عباده المؤمنين، حيث يقول الحق ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[3]، وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[4].

(١) [سورة العنكبوت، الآية ٤٦].
(٢) [سورة البقرة، الآية ٨٣].
(٣) [سورة آل عمران، الآيتان ١٣٣، ١٣٤].
(٤) [سورة فصلت، الآيتان ٣٤، ٣٥].

- ومنها: الالتزام بأدب الحوار، مهما كانت المحاورات، ومهما كان المتحاورون، ينبغي أن يتخلق المسلم بأدب الحوار، فالخلاف من سنن الخلق، ولو شاء الله تعالى ما كان هذا الاختلاف، ولكنه تنوع وثراء، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[1].

- ومنها: غض البصر، يجب على المسلم أن يغض بصره عن الحرام، ومن ذلك الصور الخادشة للحياء، فينبغي أن يستحضر المسلم قول الله ﷻ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾[2].

- ومنها: التثبت من الأخبار والمعلومات قبل أن يقوم بنشرها، فيجب على الإنسان أن ينشر النافع، وأن يكون متأكدًا ومتثبتًا مما ينشر، حتى لا ينشر جهلًا بين الناس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟

(١) [سورة هود، الآية ١١٨].
(٢) [سورة النور، الآيتان ٣٠ - ٣١].

﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[1]، فقد يصل الإنسان لأمور فيها هتك للأستار، أو غير ذلك مما يشين الناس، فينبغي للمسلم ألا يُسْهم في نشره، وأن يستحضر قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾[2]، وهذا يغلق بابًا كبيرًا من أبواب الشَّر.

- ومنها: نسبة الشيء إلى أهله (عدم السرقة)، فهناك منشورات كثيرة على شبكة الإنترنت، تقع تحت مسمى (الملكية الفكرية)، وهي ملك لأصحابها، وقد يحتاج الإنسان الاستفادة منها، ولا مانع من ذلك بشرط أن ينسب ذلك إلى أهله، وإلا فتلك سرقة لا تقل عن سرقة الأموال والأغراض، وهذا النوع من الاستيلاء على نتاج الغير يرفضه الإسلام، ويحذر من الاقتراب منه، فالسارق يستجلب لنفسه الضرر المادي والمعنوي، حيث يتعرض للمساءلة القانونية والعقوبة والتشهير؛ لأنه عنصر فاسد في المجتمع.

(١) [سورة الحجرات، الآية ٦].
(٢) [سورة النور، الآية ١٦].

– ومنها: النصيحة، ويكون التناصح بهدف الإفادة، فقد يرى الإنسان وهو يتعامل مع (الإنترنت) من يحتاج للنصح والإرشاد، أو من يطلب نصحًا في أمر معين، هنا ينبغي عليه أن ينصح له، وهو خلق طيب من أخلاق المرسلين، يقول الله تعالى على لسان سيدنا شعيب عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ ﴾[1]، وقد جعله الرسول ﷺ من الدِّين، فعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ"، قُلْنَا لِمَنْ؟ قال: "لله، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ"[2]، وتكون النصيحة برفق، ولين، وحكمة، ولا تكون تجريحًا، أو إهانة.

– ومنها: نشر ما ينفع الناس، فإذا كان الإنسان يستطيع أن ينشر ما يفيد الناس، خاصة إذا كان صاحب علم ينفعهم، فينبغي ألا يكتمه، وأن يفيد به الناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

(١) [سورة الأعراف، الآية ٦٢].
(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، حديث رقم: ٥٥.

﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾[1]، وهو أيضًا من باب حب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه الذي يكتمل به الإيمان، قال ﷺ قال: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[2]، فيجب أن يُذَكِّر بالله تعالى، فذكر الله تعالى من خير الأعمال، وله الأجر الكبير الذي يعود أثره على العبد يوم القيامة، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ الله تَعَالى"[3].

* * *

(١) [سورة البقرة، الآية ١٥٩].
(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: ١٣.
(٣) سنن الترمذي، كتاب الدَّعوات، بَاب مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الذِّكْرِ، باب منه، حديث رقم: ٣٣٧٧.

آداب الخصومة والتقاضي(*)

لقد حرص الإسلام على نشر الألفة والمحبة في جنبات المجتمع المسلم؛ ليحمل كل فرد للآخر صنوفًا من البر، وألوانًا من حب الخير للغير، إلا أنَّ المجتمع البشري لا يخلو من نوازع التنافس والبغضاء، وحب التملك والأثرة مما أنبت ظواهر الشحناء والخصومة بين الناس، فاستلزم الواقع أن تكون هناك وسيلة أو وسائل تفصل بين المتنازعين، وتحكم بين المتخاصمين، فتعطي كلَّ ذي حق حقه، ومن ثَمَّ كان القضاء من الوظائف الهامة ذات الخطر الشديد، فحقوق العباد أمانة معلقة للفصل فيها، وفي الحديث الشريف قال ﷺ: «القُضَاةُ ثَلاَثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ، رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الحَقِّ فَعَلِمَ ذَاكَ، فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لاَ يَعْلَمُ

(*) أعد هذا المبحث الشيخ / محمد الصفتي، عضو الإدارة العامة للمساجد.

فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالحَقِّ فَذَلِكَ فِي الجَنَّةِ»[1].

ومن أهم آداب الخصومة والتقاضي ما يلي:

- التواد والتعاطف، فهما أصل العلاقة بين البشر وليس التنافر والمعاداة، فهذا أدعى إلى ترابط المجتمع وتماسكه، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى منه عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى"[2]، ويقول النَّبِيُّ ﷺ:"الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ"[3].

-ومنها: الاعْتدالُ في الخُصُومَة وعدم الغلو في العداوة؛ لأنَّ العداوة مبعث كل شر، والعاقل الحكيم هو من يترك مجالًا للصلح، وبابًا للرجوع، فإنَّ جِرَاحَ عُرَى الأخوة حَرِيٌّ بها أن تلتئم، كما أن الفجور في الخصومة من علامات النفاق

(١) سنن الترمذي، كتاب الأحكام، بَابُ مَا جَاءَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي القَاضِي، حديث رقم: ١٣٢٢.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم: ٦٠١١.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا، حديث رقم: ٦٠٢٦.

وخصاله، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ "[1]، وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قالت: قال النَّبِيُّ ﷺ:"إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى الله الأَلَدُّ الخَصِمُ"[2]، وفَسَّرَه الإمام البخاري: "بأنه الدَّائِمُ فِي الخُصُومَةِ"[3].

-ومنها: التؤدة وإمعان النظر في موضوع النزاع والإلمام به، وعدم التسرع في إصدار الحكم إلا بعد سماع دعوى الطرفين وتقليب الفكر في الأمر، فالقول يُنقض بالقول، والحجة تُدفع بالحجة؛ لأنَّ اتباع الهوى مُردي ومُضل، وأَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَجُلٌ قَدْ فُقِئَتْ عَيْنُهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُخْضِرُ خَصْمَك فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ أَمَا بِك مِنْ الْغَضَبِ إِلَّا مَا أَرَى، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَلَعَلَّك قَدْ فَقَأْت عَيْنَيْ خَصْمِك مَعًا،

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، حديث رقم: ٣٤، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، حديث رقم: ١٠٦.
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قوله تعالى(وهو ألد الخصام)، حديث رقم: ٢٤٥٧، وصحيح مسلم، كتاب العلم، باب في الألد الخصم، حديث رقم: ٢٦٦٨.
(٣) صحيح البخاري، كِتَابُ الْأَحْكَامِ،بَابُ الْأَلَدِّ الْخَصِمِ، وَهُوَ الدَّائِمُ فِي الْخُصُومَةِ، ٩/ ٧٣.

فَحَضَرَ خَصْمُهُ قَدْ فُقِئَتْ عَيْنَاهُ مَعًا، فَقَالَ عُمَرُ: إذَا سَمِعْت حُجَّةَ الْآخَرِ بَانَ الْقَضَاءُ، قَالُوا: وَلَا يُعْلَمُ لِعُمَرَ فِي ذَلِكَ مُخَالِفٌ مِنْ الصَّحَابَةِ[1].

وفي قصة سيدنا داود عليه السلام والخصمان أتى التوجيه الإلهي لنبي الله داود عليه السلام، فقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[2].

-ومنها: وجوب الإنصاف وتحريم المحاباة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟﴾[3]، والإنصاف مطلوب دائمًا وأبدًا في كل الأحوال، ومع كل الناس حتى المخالفين لنا في عقيدتنا أو المناوئين لنا في دنيانا، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

(١) المحلى بالآثار، لابن حزم الأندلسي، ٨/ ٤٣٦، ط دار الفكر، بيروت.
(٢) [سورة ص، الآية ٢٦].
(٣) [سورة النساء، الآية ١٣٥].

وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴾[1].

- ومنها: عدم تزييف الحقائق، وإلباس الباطل ثوب الحق، والحق ثوب الباطل، فعَن السيدة أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ"[2].

- ومنها: التسامح عند التقاضي، وعدم التشوف إلى ما فيه شبهة فضلًا عن ما هو حق ظاهر للغير، وقد دعا ﷺ لمن هذه صفته أن تناله رحمة الله تعالى، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﵁: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: "رَحِمَ الله رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضى"[3]، وترصد السنة المشرفة

(١) [سورة النساء، الآيات ١٠٥ - ١٠٧].
(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الحيل، باب إذا غصب جارية فزعم أنها ماتت، حديث رقم: ٦٩٦٧، وصحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب الحكم بالظاهر، حديث رقم: ١٧١٣.
(٣) صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء، حديث رقم: ٢٠٧٦.

حالـة مشرقة للتسـامح والإيثار، فعن أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ، قَالَ: قَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اشْـتَرَى رَجُلٌ مِـنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَـهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْـتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْـتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَـعْ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُـكَ الأَرْضَ وَمَـا فِيهَـا، فَتَحَاكَـمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَـالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْـهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلاَمٌ، وَقَالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الغُلاَمَ الجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِـهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا"(١).

وهـذا يتمثـل في قولـه تعـالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْـطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾(٢)، فقـد أمـر الله تعـالى بالعـدل، ووعد عليه الخير العظيـم، وهو محبة الله للمقسـطين، وما بعد محبة الله إلا الحياة المسـتقيمة في الدنيا، والعيشة الطيبة في الآخرة.

* * *

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ حَدِيثِ الغَارِ، حديث رقم: ٣٤٧٢، وصحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب استحباب إصلاح الحاكم، حديث رقم: ١٧٢١.
(٢) [سورة المائدة، الآية ٤٢].

آداب السلام(*)

السلام في الإسلام له منزلته الرفيعة، فهو شعيرة من شعائر الإسلام، وقد جاء الإسلام لترسيخ قيم السلام والمحبة والمودة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾(١)، وعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ قَالَ: "إِنَّ السَّلَامَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله تَعَالَى، وَضَعَهُ الله فِي الْأَرْضِ، فَأَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"(٢).

وقد أعلى القرآن الكريم من شأن السلام فجعله تحية أهل الجنة، يقول الله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ

(*) أعد هذا المبحث د/ السيد عاطف خليل، عضو الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة.
(١) [سورة الحشر، الآية ٢٣].
(٢) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ السَّلَامِ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله ﷻ، حديث رقم: ٩٨٩.
(٣) [سورة الأعراف، الآية ٤٦].

رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾[2]، وتحية الإسلام السلام، وهي من أسباب المحبة ودخول الجنة، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ"[3]، وعنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو ﷺ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: "تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"[4]، والسلام من أخص صفات عباد الرحمن، قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[5].

ومن أهم آداب السلام ما يلي:

- أن يسلم الصغير على الكبير، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، قال ﷺ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي،

(١) [سورة إبراهيم، الآية ٢٣].
(٢) [سورة الفرقان، الآية ٧٥].
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ بَيَانِ أَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ المُؤْمِنُونَ، وَأَنَّ مَحَبَّةَ المُؤْمِنِينَ مِنَ الإِيمَانِ، وَأَنَّ إِفْشَاءَ السَّلاَمِ سَبَبٌ لِحُصُولِهَا، حديث رقم: ٩٣.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام، حديث رقم: ٢٨.
(٥) [سورة الفرقان، الآية ٦٣].

وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ»[1]، وقال ﷺ أيضًا: «يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، وَالمَارُّ عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ»[2].

- ومنها: التوسط بين الجهر والإسرار في إلقاء السلام والرد عليه، فعَنْ ثَابِتِ بْنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: أَتَيْتُ مَجْلِسًا فِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما فَقَالَ: "إِذَا سَلَّمْتَ فَأَسْمِعْ، فَإِنَّهَا تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً"[3]، "وَيُسْتَثْنَى مِنْ رَفْعِ الصَّوْتِ بِالسَّلَامِ مَا إِذَا دَخَلَ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ أَيْقَاظٌ وَنِيَامٌ"[4]، فَعَنْ الْمِقْدَادِ رضي الله عنه قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ"[5].

- ومنها: عدم تخصيص أحد من الجالسين بالسلام، فالإسلام يحافظ على المودة، ونقاء الصدور، وسلامة القلوب من الضغائن، لذا أمر المسلم ألا يخص أحدًا بعينه بالسلام دون بقية الناس، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب تسليم الراكب على الماشي، حديث رقم: ٦٢٣٢.
(٢) المصدر السابق، نفس الكتاب، بَابُ تَسْلِيمِ القَلِيلِ عَلَى الكَثِيرِ، حديث: ٦٢٣١.
(٣) الأدب المفرد للبخاري، باب يسمع إذا سلّم، حديث رقم: ١٠٠٥.
(٤) فتح الباري لابن حجر، ١١/ ١٨، ط دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، حديث رقم: ٢٠٥٥.

رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: "تُطْعِمَ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ"[1]، يقول النووي: «يُكْرَهُ إِذَا لَقِيَ جَمَاعَةً أَنْ يَخُصَّ بَعْضَهُمْ بِالسَّلَامِ؛ لِأَنَّ الْقَصْدَ بِمَشْرُوعِيَّةِ السَّلَامِ تَحْصِيلُ الْأُلْفَةِ، وَفِي التَّخْصِيصِ إِيحَاشٌ لِغَيْرِ مَنْ خُصَّ بِالسَّلَامِ»[2]، وقد عدَّ النبي ﷺ تخصيص السلام بمن نعرف فقط شرطًا من أشراط الساعة، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُسَلِّمَ الرَّجُلُ عَلَى الرَّجُلِ، لَا يُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا لِلْمَعْرِفَةِ»[3].

- ومنها: السلام عند دخول البيت، قال ﷻ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾[4]، وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قال لِي رَسُولُ الله ﷺ: "يَا أَنَسُ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ، يَكْثُرْ خَيْرُ بَيْتِكَ"[5].

---

(١) سبق تخريجه، ص ١٧٨.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ١١/ ١٨.

(٣) مسند أحمد، ٦/ ٣٩٨، حديث رقم: ٣٨٤٨.

(٤) [سورة النور، الآية ٦١].

(٥) مسند البزار، ١٤/ ١٢، حديث رقم: ٧٣٩٦.

-ومنها: إلقاء السلام على الصبيان، فعن أَنَسِ ابْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: "مَرَّ عَلَى غِلْمَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ"[1]، ويجوز كذلك سلام الرجل على جماعة النساء، فعن أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيد ﷺ قالت: «مَرَّ عَلَيْنَا النبي ﷺ فِي نِسْوَةٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا»[2]، قال النووي: «وَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ جَمْعًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِنَّ الرَّجُلُ جَازَ؛ لِلْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي ذَلِكَ»[3].

- ومنها أن يكون إلقاء السلام بصيغته الكاملة، فعن عِمرانَ بنِ حُصَين، قال: جاء رجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: السلامُ عليكُم، فردَّ عليه، ثم جلَسَ، فقال النبي ﷺ: «عشرٌ»، ثُمَّ جاء آخرُ، فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ الله، فردَّ عليه، فجلسَ، فقال: «عِشْرونَ»، ثم جاء آخرُ، فقال: السلامُ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه، فردَّ عليه، فجلسَ، فقال: «ثلاثونَ»[4].

(١) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب استحباب السلام على الصبيان، حديث رقم: ٢١٦٨.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في السلام على النساء، حديث رقم: ٥٢٠٤.
(٣) روضة الطالبين للنووي، ١٠/ ٢٣٠، ط المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق، ١٤١٢هـ.
(٤) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب كيف السلام، حديث رقم: ٥١٩٥.

- ومنهـا: إلقاء السـلام عند مغادرة المجلـس، فعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ أن النبـي ﷺ قال: "إِذَا انْتَهَـى أَحَدُكُمْ إِلَى مَجْلِسٍ فَلْيُسَـلِّمْ، فَإِنْ بَدَا لَـهُ أَنْ يَجْلِسَ فَلْيَجْلِسْ، فَإِذَا قَامَ فَلْيُسَـلِّمْ، فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخرة" (١).

وهناك مواطن ينبغي ترك إلقاء السلام فيها:

- منهـا: ترك إلقاء السـلام أو ردِّه أثنـاء خطبة الجمعة، قـال ﷺ: «إِذَا قُلْـتَ لِصَاحِبِكَ يَوْمَ الجُمُعَـةِ أَنْصِتْ وَالإِمَامُ يَخْطُـبُ، فَقَـدْ لَغَـوْتَ»(٢)، كذلك ترك إلقائـه على من دخل الخـلاء، فعَنِ المهَاجِرِ بْـنِ قُنْفُذٍ ﷺ "أَنَّهُ سَـلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَبُولُ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ حَتَّى تَوَضَّأَ، فَلَمَّا تَوَضَّأَ رَدَّ عَلَيْهِ"(٣).

* * *

(١) سنن الترمذي، أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود، حديث رقم: ٢٧٠٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب، حديث رقم: ٩٣٤.
(٣) سنن النسائي، كتاب الطهارة، باب رد السلام بعد الوضوء، حديث رقم: ٣٨.

أدب الدعـوة إلى الله ﷻ
بالحكمة والموعظة الحسنة(*)

الداعيـة إلى الله تعـالى إنـما يدعو إلى دين الإسـلام، فهو يدعو إلى القرآن والسـنة، ويبين الأحكام الشـرعية لأصول العبـادات وفروعها، وينهى الناس عـن الخطأ فيها، ويدعو إلى محاسـن الأخلاق، وفضائل الآداب، وينهى عن ضدها، فواجبه لا يقتصر على نفسه فحسب، دون أن تكون له صلة بالمجتمـع من حوله، ودون محاولة لهداية غيره إلى الله تعالى، فهو يتعامل مع مجتمع ويحيا وسطه.

ومن أهم آداب الداعية:

- أن يكون عالمًا فقيهًا، فلا دعوة قبل العلم، ولا أداء قبل التحمل، حيث يقول سبحانه: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟

(*) أعد هذا المبحث د/ السيد مسعد، مدير مديرية أوقاف الجيزة.

إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾[1]، وقال الله تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾[2].

- ومنها: أن يكون حسن المنظر، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ، حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ، فَإِنَّ الله لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ، وَلَا التَّفَحُّشَ»[3].

- ومنها: الدعوة باللين والحلم والأناة، قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[4]، وقال رَسُولُ الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ رضي الله عنه: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ»[5]، فينبغي أن يكون

(١) [سورة التوبة، الآية ١٢٢].
(٢) [سورة يوسف، الآية ١٠٨].
(٣) سنن أبي داود، كتاب اللباس، بَابُ مَا جَاءَ فِي إِسْبَالِ الإِزَارِ، حديث: ٤٠٨٩.
(٤) [سورة آل عمران، الآية ١٥٩].
(٥) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، بَابُ الأَمْرِ بِالإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، حديث: ١٧.

الداعـي حليمًا صبـورًا على الأذى، فإن لم يحلـم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

– ومنهـا: مراعـاة الأوقـات المناسـبة في الدعـوة، فعن ابن مسـعود ﷺ، قال: كَانَ النَّبِـيُّ ﷺ: يَتَخَوَّلُنَا بِالمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»[1]، قال ابن حجر: «وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْحَدِيثِ اسْـتِحْبَابُ تَرْكِ المدَاوَمَـةِ فِي الْجِدِّ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ خَشْيَةَ المَلَالِ، وَإِنْ كَانَتِ المواظَبَةُ مَطْلُوبَةً لَكِنَّهَا عَلَى قِسْمَيْنِ، إِمَّا كُلَّ يَوْمٍ مَعَ عَدَمِ التَّكَلُّفِ، وَإِمَّا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ فَيَكُونُ يَوْمُ التَّرْكِ لِأَجْلِ الرَّاحَةِ لِيُقْبِلَ عَلَى الثَّانِي بِنَشَاطٍ»[2].

– ومنها: الصَّبرُ على الدَّعوة وعدم السآمة، قال الله تعالى في حق نبي الله نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾[3].

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابُ مَا كَانَ ﷺ يَتَخَوَّلُهُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، حديث: ٦٨.
(٢) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ١/ ١٦٣.
(٣) [سورة نوح ،الآيات ٥ – ٩].

- ومنهـا: مخاطبـة الناس على قدر عقولهـم، فيجب على الداعيـة أن يراعـي حال المدعو ومسـتواه، فعـن علي بن أبي طالـب ﷺ قـال: «حَدِّثُـوا النَّاسَ بِـمَا يَعْرِفُـونَ، أَتُحِبُّـونَ أَنْ يُكَـذَّبَ الله وَرَسُـولُهُ»[1]، وعن عَبْدِ الله بْنِ مَسْـعُودٍ ﷺ، قَـالَ: «مَا أَنْـتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًـا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُـهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»[2].

- ومنهـا: البدء بالفرائض والواجبـات، فالـداعي إلى الله يتـدرج في دعوة الناس، فيدعوهم إلى الفرائض قبل السـنن، ويدعوهم إلى الأمور الواجبة قبل الأمور المسـتحبة، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ: أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا ﷺ عَلَى اليَمَنِ، قَـالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَـوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ الله، فَإِذَا عَرَفُوا الله، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الله فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[3].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةَ أَنْ لَا يَفْهَمُوا، حديث رقم: ١٢٧.

(٢) صحيح مسلم، مقدِّمة كتابه، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ، حديث رقم: ٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، بَابُ لَا تُؤْخَذُ كَرَائِمُ أَمْوَالِ النَّاسِ فِي الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٤٥٨.

- ومنهـا: حسـن العـشرة والتآلـف مـع النـاس، فعلى الداعيـة أن يتآلف مـع الناس كي تصل دعوتـه إلى قلوبهم، يعود مرضاهم، ويشـاركهم أفراحهم وأتراحهم فهو واحد منهم يريد لهم الخير، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «المؤْمِنُ مَأْلُوفٌ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ»[1].

- ومنها: التزام الوسطية والاعتدال في الدعوة، فعن جَابِر ابْـن عَبْدِ الله الأَنْصَـارِيِّ ﷺ، قَالَ: أَقْبَلَ رَجُـلٌ بِنَاضِحَيْنِ وَقَدْ جَنَحَ اللَّيْلُ، فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي، فَتَرَكَ نَاضِحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ، فَقَرَأَ بِسُورَةِ البَقَرَةِ - أَوِ النِّسَاءِ - فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَبَلَغَهُ أَنَّ مُعَاذًا نَـالَ مِنْهُ، فَأَتَـى النَّبِيَّ ﷺ، فَشَـكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَـالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَـاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ» أَوْ «أَفَاتِنٌ» ثَلَاثَ مِـرَارٍ: «فَلَوْلَا صَلَّيْتَ بِسَـبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ، وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَاءَكَ الكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَذُو الحَاجَةِ»[2].

- ومنهـا: أن يوافـق قولـه فعلـه، فالداعية صـادق مع نفسـه ومجتمعه، قـال رَسُـولِ الله ﷺ: «يُجَـاءُ بِالرَّجُـلِ يَوْمَ

(١) مسند أحمد، ١٥/ ١٠٦، حديث رقم: ٩١٩٨.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، بَابُ مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّل، حديث رقم: ٧٠٥.

القِيَامَـةِ فَيُلْقَى فِي النَّـارِ، فَتَنْدَلِـقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّـارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِـمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّـارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ مَا شَـأْنُكَ؟ أَلَيْـسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالمَعْـرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَـرِ؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْـرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ»[1].

– ومنهـا: التحذيـر مـن الفتـوى بـلا علـم، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: "مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَانَ إِثْمُـهُ عَـلَى مَـنْ أَفْتَاهُ»[2]، وسـئل الشـعبي عن شيءٍ، فقـال: لا أدري، فقيل: ألا تسـتحيي مـن قولك لا أدري وأنـت فقيـه أهل العـراق ؟ فقال: لكن الملائكة لم تسـتحِ حين قالت: لا علم لنا إلا ما علمتنا»[3].

– ومنها: إعلام المخاطب بما يحتاج إليه، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُـولَ الله أَيُّ النَّـاسِ أَفْضَـلُ؟ فَقَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: "مُؤْمِـنٌ يُجَاهِدُ فِي سَـبِيلِ الله بِنَفْسِـهِ وَمَالِهِ، قَالُوا: ثُمَّ مَنْ؟ قَـالَ: مُؤْمِنٌ فِي

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، بَابُ صِفَةِ النَّارِ، وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، حديث رقم: ٣٢٦٧.
(٢) سنن أبي داود، كتاب العلم، بَابُ التَّوَقِّي فِي الْفُتْيَا، حديث رقم: ٣٦٥٧.
(٣) صفة الفتوى والمفتي والمستفتي، ص ٩.

شِـعْبٍ مِنَ الشِّـعَابِ يَتَّقِي الله، وَيَدَعُ النَّـاسَ مِنْ شَرِّهِ»[1]، وعَـنْ عَائِشَـةَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُـولَ الله، نَـرَى الجِهَادَ أَفْضَـلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»[2].

وعـن عبـد الله ﵁ قال: سَـأَلْتُ النَّبِـيَّ ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَـبُّ إِلَى الله؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ، قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي»[3]، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﵁، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـولَ الله، أَيُّ الْأَعْـمَالِ أَفْضلُ؟ قَالَ: "الْإِيمَانُ بِالله وَالْجِهَـادُ فِي سَـبِيلِهِ" قَالَ: قُلْـتُ: أَيُّ الرِّقَـابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: "أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا" قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَـالَ: "تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ" قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ: تَكُفُّ شَرَّكَ

(١) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، بَابٌ أَفْضَلُ النَّاسِ مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله، حديث رقم: ٢٧٨٦.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الحج، بابُ فَضْلِ الحَجِّ المَبْرُورِ، حديث رقم: ١٥٢٠.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، بَابُ فَضْلِ الصَّلاَةِ لِوَقْتِهَا، حديث رقم: ٥٢٧.

عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ"[1]، قال ابن حجر: "قَالَ الْعُلَمَاءُ اخْتِلَافُ الْأَجْوِبَةِ فِي ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَاحْتِيَاجِ المخَاطَبِينَ وَذَكَرَ مَا لَمْ يَعْلَمْهُ السَّائِلُ وَالسَّامِعُونَ وَتَرَكَ مَا عَلِمُوهُ"[2].

* * *

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل، حديث رقم: ٢٥١٨، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، حديث رقم: ٨٤ واللفظ له.

(٢) فتح الباري لابن حجر، ١/ ٧٩.

آداب الزيارة وعيادة المريض(*)

مما لا شك فيه أن الإسلام هو دين المودة والألفة، وقد أمرنا بصلة الأرحام وزيارة الأهل والأصحاب والأصدقاء من أهل التقوى والدين، ففي الحديث عن النبي ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ ﷻ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ»(١).

ومن أهم آداب الزيارة ما يلي:

- إعلام أهل البيت قبل الذهاب للزيارة بوقتٍ كافٍ، وأن يتجنب الزيارات المفاجئة حتى لا يقع أهل البيت

(*) أعد هذا المبحث د/ محمد عزت، أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، بَابٌ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ، حديث رقم: ٢٥٦٧.

في حرج من أمرهم، فإذا وصل البيت فيكون الاستئذان ثلاثًا، يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، ويقول رسول الله ﷺ: "الِاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ"[2].

- ومنها: غض البصر وعدم التطلع لعورات أهل البيت، فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: نَادَى رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا المُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَةَ أَخِيهِ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ"[3].

-ومنها: ألا يتحدث بالغيبة والنميمة والسخرية في زيارته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ

(١) [سورة النور، الآية ٢٧].
(٢) صحيح مسلم، كتاب الآداب، بَابُ الِاسْتِئْذَانِ، حديث رقم: ٢١٥٣.
(٣) مسند أحمد، ٣٣/ ٤٠، حديث رقم: ١٩٨٠١.

بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

- ومنها: أن يُعرِّف نفسه بأشهر أسمائه أو صفاته، فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله ﷺ، قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقَالَ: «مَنْ ذَا» فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: «أَنَا أَنَا» كَأَنَّهُ كَرِهَهَا»[2].

- ومنها: شكر صاحب البيت على حسن الضيافة والاستقبال حتى وإن وجد تقصيرًا فيهما، قال ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ الله، وَمَنْ لَا يَشْكُرُ الْقَلِيلَ لَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ، وَالتَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ الله شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَالْجَمَاعَةُ بَرَكَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»[3].

ويضاف على آداب الزيارة بعض الآداب المتعلقة بعيادة المريض، منها:

-اختيار الوقت المناسب لعيادة المريض، فبعض الناس يتعجل عيادة المريض بمجرد سماعه أن فلانًا مريض، وقد

(١) [سورة الحجرات، الآية ١١].
(٢) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا قال من ذا ؟ فقال أنا، حديث رقم: ٦٢٥٠.
(٣) مسند البزار، ٨/ ٢٢٦، حديث رقم: ٣٢٨٢.

يكون هذا المريض يحتاج إلى الراحة فقط، فيسبب له الناس حرجًا والتريث هنا هو المطلوب كما لا نهمل في الزيارة حتى يفوت موعدُها، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَعُودُ مَرِيضًا إِلاَّ بَعْدَ ثَلاَثٍ»(١).

-ومنها: سؤال المريض عن صحته والاطمئنان عليه ومتابعة حالته، فعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ قَالَ: لَمَّا أُصِيبَ أَكْحُلُ سَعْدٍ يَوْمَ الْخَنْدَقِ فَثَقُلَ، حَوَّلُوهُ عِنْدَ امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا: رُفَيْدَةُ، وَكَانَتْ تُدَاوِي الْجَرْحَى، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا مَرَّ بِهِ يَقُولُ: «كَيْفَ أَمْسَيْتَ؟، وَإِذَا أَصْبَحَ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَيُخْبِرُهُ»(٢).

- ومنها: إخلاص الدعاء للمريض وتذكيره بالرقية الصحيحة، فقد دخل سيدنا أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ على مريض فقال: أَلاَ أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: «اللهمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لاَ شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا»(٣).

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض، حديث رقم: ١٤٣٧.
(٢) الأدب المفرد للبخاري، بَابُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟، حديث رقم: ١١١٩.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، بَابُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ، حديث رقم: ٥٧٤٢.

- ومنهـا: تذكـير المريض بأجر الصبر عـلى المرض، يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[1].

- ومنهـا: تذكـير المريـض بالأمل والتفـاؤل، فعَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ الْخُدْرِيّ ﷺ قَـالَ: قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى المرِيضِ فَنَفِّسُـوا لَهُ فِي الأَجَلِ فَإِنَّ ذَلِكَ لاَ يَرُدُّ شَيْئًا وَهُوَ يَطِيبُ بِنَفْسِ المرِيض»[2].

- ومنهـا: إشـعار المريض باسـتجابة دعائِـه، وحثه على الدعـاء، يقـول ربنـا ﷻ: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[3].

- ومنها: إظهار قيم الإسلام وعنايته بالمريض والمرضى، فعَـنْ مَـرْوَان بْـنِ أَبِي دَاوُدَ قَـالَ: أَتَيْـتُ أَنَسَ بْـنَ مَالِكٍ ﷺ

(١) [سورة البقرة، الآيات ١٥٥- ١٥٧].
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي عِيَادَةِ الْمَرِيضِ، حديث رقم: ١٤٣٨.
(٣) [سورة النمل، الآية ٦٢].

فَقُلْتُ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، إِنَّ المَكَانَ بَعِيدٌ وَنَحْنُ يُعْجِبُنَا أَنْ نَعُودَكَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ المَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ المَرِيضَ فَالمَرِيضُ مَا لَهُ؟ قَالَ: تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ»[1].

- ومنها: تحذير المريض من الجزع وعدم الرضا بقضاء الله وقدره، قال رَسُولُ الله ﷺ: «عِظَمُ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ الله إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»[2].

* * *

(١) مسند أحمد، ٢٠/ ١٧٩، حديث رقم: ١٢٧٨٢.
(٢) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ، حديث رقم: ٤٠٣١.

آداب الجنائز(*)

إن الموت لا مفر منه ولا مهرب، فينبغي للعبد أن يتقرب إلى ربه بالطاعات، ويتعظ بالآيات، ويُبادر إلى أداء الحقوق إلى أهلها، وأن يستحضر أن الله تعالى غنيّ عن عذابه وعن طاعته.

ومن أهم الآداب التي تتعلق بالجنائز:

أن يحسن الظن بالله تعالى، قال جَابِرُ بْنُ عَبْدِ الله ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله(١).

قال النووي: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَعْنَى يُحْسِنُ الظَّنَّ بِالله تَعَالَى أَنْ يَظُنَّ أن الله تعالى يرحمه ويرجو ذَلِكَ وَيَتَدَبَّرُ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي

(*) أعد هذا المبحث الشيخ/ أحمد وحيد مرداش، عضو الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة.
(١) مسند أحمد، ٢٢/ ٤٣٧، حديث رقم: ١٤٥٨٠.

كَرَمِ اللهِ ﷻ وَعَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ وَمَا وَعَدَ بِهِ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَمَا يَنْشُرُهُ مِنْ الرَّحْمَةِ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

ومنها: أن يستقبل به القبلة، قال النووي: »وَفِي كَيْفِيَّتِهِ وَجْهَانِ، أَحَدُهُمَا: يُلْقَى عَلَى قَفَاهُ وَأَخْمَصَاهُ إِلَى الْقِبْلَةِ، وَالثَّانِي: يُضْجَعُ عَلَى جَنْبِهِ الْأَيْمَنِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ كَالْمَوْضُوعِ فِي اللَّحْدِ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ لِضِيقِ الْمَوْضِعِ، أَوْ سَبَبٍ آخَرَ، فَعَلَى قَفَاهُ، وَوَجْهُهُ وَأَخْمَصَاهُ إِلَى الْقِبْلَةِ»[2].

ومنها: أن يلقن كلمة الشهادة برفق ولين، ولا يلح عليه الملقن بكثرة التكرار، قال النووي: «وَلَا يُلِحُّ الْمُلَقِّنُ وَلَا يُوَاجِهُهُ بِقَوْلِ: قُلْ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) بَلْ يَذْكُرُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَذْكُرَ، فَإِذَا قَالَهَا مَرَّةً لَا تُعَادُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَهَا، وَيُسْتَحَبُّ أَنْ يُلَقِّنَهُ غَيْرُ الْوَرَثَةِ، فَإِنْ لَمْ يَحْضُرْ غَيْرُهُمْ، لَقَّنَهُ أَشْفَقُهُمْ عَلَيْهِ»[3].

ومنها: أَن تُغْمَض عَيناهُ ويُشد لحياه (فكَّيه)، فعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ

(١) المجموع شرح المهذب للنووي، ٥/ ١٠٨.
(٢) روضة الطالبين للنووي، ٢ / ٩٧.
(٣) المرجع السابق، ٢ / ٩٧، بتصرف.

شَـقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَـهُ، ثُمَّ قَـالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِـضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»[1].

ومنهـا: أن يُصَـبِّر أهـل الميـت، فيحتسـبوا أجرهـم في مصيبتهـم على الله، فعن أُمِّ سَـلَمَةَ ﵂، أَنَّهَا قَالَتْ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْـلِمٍ تُصِيبُـهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَـا أَمَـرَهُ اللهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾[2]، اللهُـمَّ أْجُـرْنِي فِي مُصِيبَتِـي، وَأَخْلِـفْ لِي خَيْرًا مِنْهَـا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»، قَالَتْ: «فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ المُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِـنْ أَبِي سَـلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُـولِ الله ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ الله ﷺ»[3].

ومنهـا: أن يذكـر الميت بخـير، فعَـنْ أُمِّ سَـلَمَـةَ ﵂، قَالَـتْ: قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «إِذَا حَضَـرْتُـمُ المَرِيـضَ، أَوِ الميِّـتَ، فَقُـولُـوا خَـيْرًا، فَـإِنَّ المَـلَائِكَـةَ يُؤَمِّنُـونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»[4].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، بَـابٌ فِي إِغْـمَاضِ المَيِّـتِ وَالدُّعَـاءِ لَـهُ إِذَا حُـضِرَ، حديث رقم: ٩٢٠.

(٢) [سورة البقرة، الآية ١٥٦].

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ المُصِيبَةِ، حديث رقم: ٩١٨.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، بَابُ مَا يُقَالُ عِنْدَ المَرِيضِ وَالمَيِّتِ، حديث رقم: ٩١٩.

ومنهـا: المبـادرة إلى قضـاء الديـن وتنفيـذ مـا شُرع من وصايـاه، فعَـنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»[1].

ومنها: المسـارعة إلى تغسـيله وتجهيزه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَسْـرِعُوا بِالْجَنَـازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ»[2]، ولحَدِيث ابْنِ عُمَرَ ﷺ قال: سَمِعْت رَسُول الله ﷺ يَقُول: «إِذَا مَاتَ أَحَدكُمْ فَلَا تَحْبِسُوهُ وَأَسْرِعُوا بِهِ إِلَى قَبْرِه»[3].

- ومنهـا: الصلاة عـلى الميت وتشـييع جنازته وحضور دفنـه، وهي مـن فـروض الكفايات، فعـن أبي هُرَيْـرَةَ ﷺ، قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ الله ﷺ يَقُـولُ: «حَـقُّ الْمُسْـلِمِ عَـلَى الْمُسْـلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّـلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيـضِ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الـدَّعْـوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَـاطِسِ[4]، ويستحب تكثـير الصفـوف في الصلاة عـلى الجنازة حتى ينال الميت شـفاعة

(١) سـنن الترمذي، أبواب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ»، حديث رقم: ١٠٧٨.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ السُّرْعَةِ بِالْجَنَازَةِ، حديث رقم: ١٣١٥.
(٣) المعجم الكبير للطبراني جـ ١٢/ ص ٤٤٤، حديث رقم: ١٣٦١٣.
(٤) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، حديث رقم: ١٢٤٠.

المصلين، فعن ابن عباس ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا، لَا يُشْرِكُونَ بِالله شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ»[1].

-ومنها: استحباب القيام للجنازة إذا مرت عليه، فقد قام النبي ﷺ للجنازة وأمر بالقيام لها، فعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ جِنَازَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَاشِيًا مَعَهَا، فَلْيَقُمْ حَتَّى يَخْلُفَهَا أَوْ تُخَلَّفَهُ أَوْ تُوضَعَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَلِّفَهُ»[2]، والقيام يكون للمسلم وغير المسلم؛ لأن القيام لعظم شأن الموت.

- ومنها: وعظ المشيعين وتذكيرهم بالموت، فعَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ شُفِّعُوا فِيهِ، حديث رقم: ٩٤٨.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَابٌ: مَتَى يَقْعُدُ إِذَا قَامَ لِلْجَنَازَةِ؟، حديث رقم: ١٣٠٨.

مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾»[1].

-ومنها: الدعاء والاستغفار للميت، فعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ[2].

- ومنها: تعزية أهل الميت، والتخفيف عنهم، قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ، إِلَّا كَسَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

والتعزية هي: التصبير، والعَزاءُ هو الصّبرُ نفسه عن كلّ ما فقدت ورُزِئْت[4]، وهي ذكر ما يُسليِّ صاحب الميت،

(١) [سورة الليل، الآيتان ٥، ٦]، والحديث في صحيح البخاري، كتاب الجنائز، بَابُ مَوْعِظَةِ الْمُحَدِّثِ عِنْدَ الْقَبْرِ، وَقُعُودِ أَصْحَابِهِ حَوْلَهُ، حديث رقم: ١٣٦٢.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الجنائز، بَابُ الِاسْتِغْفَارِ عِنْدَ الْقَبْرِ لِلْمَيِّتِ، حديث رقم: ٣٢٢١.
(٣) سنن ابن ماجه، كتاب الجنائز، بَابُ مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ مَنْ عَزَّى مُصَابًا، حديث رقم: ١٦٠١.
(٤) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، مادة: «عزي»، ٢/ ٢٠٥.

ويُخفِّف حزنه، ويُهوِّن مصيبته، وهي مستحبةٌ قبل الدفن وبعده؛ فإنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، وهي داخلة أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾[2]، ويقول ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[3].

* * *

(١) الأذكار للنووي، ص٢٦٩، ط دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
(٢) [سورة المائدة، الآية ٢].
(٣) صحيح مسلم، كتاب الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ، بَابُ فَضْلِ الاِجْتِمَاعِ عَلَىَ تِلاَوَةِ الْقُرْآنِ، حديث رقم: ٢٦٩٩.

فهرس الموضوعات

تقديـــم. ٥
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف.

آداب الطهـــارة. ٩
الشيخ/ محمد عبد الظاهر، مدير إدارة التدريب عن بعد.

آداب المساجـــد. ١٧
أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك، وزير الأوقاف.

آداب الدعاء. ٢٥
د/ رمضان عبد السميع، مدير مديرية أوقاف أسوان سابقًا.

آداب المناسبات الاجتماعية. ٣٣
د/ محمد السيد نصار، مدير عام الإرشاد ونشـر الدعوة.

آداب الصحبـــة. ٣٩
د/ أسامة فخري الجندي، مدير عام المساجد.

آداب التـــداوي. ٤٧
د/ عمرو محمد الكمَّار، مدير عام الفتوى وبحوث الدعوة.

آداب البيـــع والشـــراء. ٥٥
الشيخ/ إسلام محمد مختار النواوي، عضو الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة.

آداب التعـامـل مع الإنترنت. ٦١
د/ محمد أحمد حامد، مدير مكتبة المخطوطات.

آداب الخصـومـة والتقـاضي. ٧١
الشيخ / محمد الصفتي، عضو الإدارة العامة للمساجد.

آداب الســـــلام. ٧٧
د/ السيد عاطف خليل، عضو الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة.

أدب الدعـوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة ٨٣
د/ السيد مسعد، مدير مديرية أوقاف الجيزة.

آداب الزيارة وعيادة المريض. ٩١
د/ محمد عزت، القائم بأعمال أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

آداب الجنـــــائز. ٩٧
الشيخ/ أحمـد وحيـد مرداش، عضو الإدارة العامة للفتوى وبحوث الدعوة.

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية

مروان حماد

متابعة

فريال فؤاد

المراجعة اللغوية

د.حسن أحمد خليل

سيد عبد المنعم

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٣٠٧٠/ ٢٠٢٢

ISBN 978-977-91-3968-5